الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

- الملحقة الجامعية – مغنية -

- قسم اللغة العربية و أدابها –

-

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

التخصص: أدب عربي.

الأسلوب الساخر في النثر الجزائري الحديث
"أحمد رضا حوحو أنموذجا"

إعداد الطالبتين:

? بوزياني نور الهدى.

? فطومة جمافو

إشراف الأستاذ:

! د/ سيدي محمد بن مالك.

اللجنة المناقشة:

1.د/ وهيبة وهيب أستاذمحاضر"أ"رئيسا

2.د/سيدي محمد بن مالك أستاذمحاضر"أ"مشرفا و مقررا

3.د/ خديجة عبد الرحيم أستاذ محاضر"ب"مناقشا

السنة الجامعية: 2016/2015-1437/1436هـ

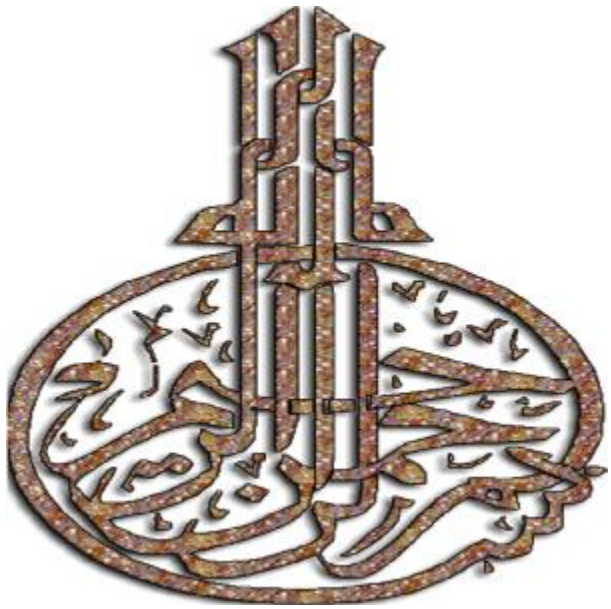

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾

سورة هود،الآية: 38.

دعـــاء

يا رب أنا لا أخشى البناء ولكن أخشى الوقوف جامدا

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت

ولا أصاب باليأس إذا فشلت

بل ذكرني دائما بالفشل

هو التجربة التي تسبق النجاح

يا رب علّمني أنّ التسامح هو أكبر مراتب القوة

وأنّ حبّ الانتقام هو من مظاهر الضّعف.

يا رب إذا جرّدتني من المال أترك لي ثروة الأمل

وإذا جرّدتني من نعمة الصّحة أترك لي قوة الإيمان.

يا رب... إذا أسأت إلى الناس أعطني شجاعة الاعتذار

وإذا أساء إلي الناس أعطني شجاعة العفو

يا رب.. إذا نسيتك لا تنساني

ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي

وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه

وأدخلني في عبادك الصالحين

آمين

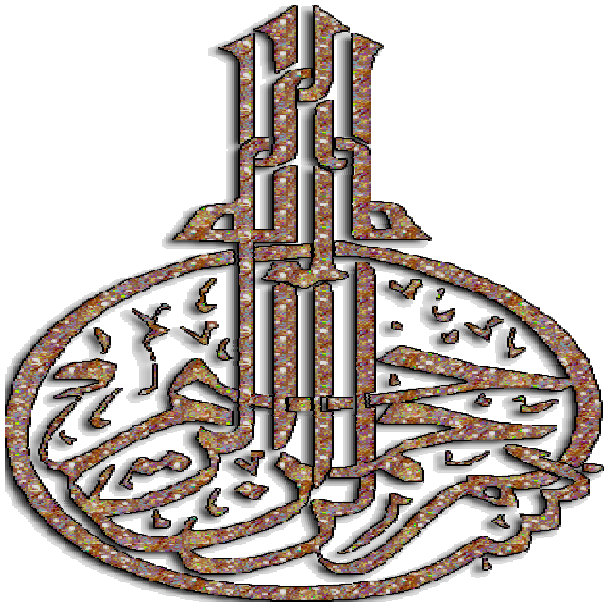

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾

سورة هود،الآية: 38.

شكـــر و تقديـــر

الشكر لله الذي أكرمنا ومنحنا القدرة على طلب العلم والوصول إلى منابع المعرفة، ثم نتقدم بالشكر إلى أساتذتنا الأفاضل بقسم اللغة العربية وآدابها بالمركز الجامعي – مغنية – ونخص بالذكر أستاذنا الكريم المشرف :

* سيدي محمد بن مالك *

والشكر الموصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة : الأستاذة المحترمة وصيبة وصيب، والأستاذة الفاضلة خديجة عبد الرحيم .

لكل هؤلاء نتقدم بتحياتنا و تقديرنا وامتناننا .

إهداء

- إلى جنة الأرض وأغلى إنسانة على القلب ...إلى من علمتني الصبر والتوكل على الله في كل شيء ... أمي أمي أمي الحبيبة حفظها الله .
- إلى من ولد في حب العلم ... والدي العزيز حفظه الله .
- إلى إخوتي الأحبة (إيمان، عبد الجليل، عبد الهادي، زين العابدين)، محبتهم لي وتشجيعهم المتواصل كان الحافز الأكبر في إنهاء هدا العمل .
- إلى كل الصديقات في قسم اللغة العربية وآدابها ، إلى الصديقات الوفيات من وجدتهن في وقت الشدة، فلم يبخلن علي بالمساعدة والكلمة الطيبة ، وأخص بالذكر : أسماء، وأمال، وفاطنة، ومروة، وخديجة .
- إلى ذوي العقول النيرة بنور العلم والمعرفة... إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها ، وجدت فيكم الناصح والمرشد والمعين ، فيا أهل الفضل والجود والكرم، لنا الفخر بكم برحابة صدوركم وسعة عطائكم، رفعكم الله إلى أعلى الدرجات.
- إلى كل من ساهم في دعمي من قريب أو من بعيد .
- إلى كل هؤلاء أهدي عملي المتواضع .

نور الهدى

إهداء

- إلى كل من يحمل في قلبه بذرة وعي ستكون ثمرة لحضارتنا
- إلى كل من سميت باسمك بكل فخر إلى من افتقدتك منذ الصغر إلى من شوقي لها شوق الصحاري للمطر، إلى من أودعتني لله المقتدر... إلى روح أمي الغالية.
- أن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في بحر مظلم واسع هو بحر الحياة، وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات؛ ذكريات الأخوة البعيدة، أخواتي اللواتي لم تلدهن أمي ... إلى صديقاتي في قسم اللغة العربية وآدابها.
- وأخص بالذكر رفيقة دربي التي صارت معي منذ أن حملنا حقيبة صغيرة وسرنا معا من دروب الحياة ولا تزال ترافقني إلى الآن... وفاء.
- دون أن أنسى خالاتي ذوات القلب الكبير اللواتي صيرن لي أشواك الحياة حريرا حفظهن الله.
- وأخيرا وليس آخرا إلى من أضاءوا بالعلم عقول لغيرهم وهدوا بالجواب الصائب حيرة سائليهم... إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع .

فطومة

مقدمة

اللّهم باسمك نبتدئ و بهديك نهتدي، بك يا معين نسترشد ونستعين، واللّهم صلّ وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

تُعدّ السّخرية من أغراض الأدب شعره ونثره، يستعملها الأديب أو الشّاعر لتكون بذلك فنّاً قائماً بذاته يزخر بأساليبه الّتي لا تعدّ ولا تحصى. وقد قمنا بإعداد بحثنا الموسوم: «الأسلوب السّاخر في النّثر الجزائري؛ "أحمد رضا حوحو نموذجا"». فكان فضولنا حافزاً كبيراً في اختيار هذا الموضوع، حيث استغربنا بداية باقتران لفظة "السّخرية" بالأدب، نظراً لضعف درايتنا بهذه الكلمة، أو لمعرفتنا السّطحية حولها، بحيث لم نتوقّع بأن يكون لها وقعاً في الأدب، هذا ما لاح بأفكارنا في أُفق التّيه والحيرة؛ فازدادت حدّة فضولنا لنلج، بذلك، إلى أعماق هذه الدّراسة الّتي كانت أشبه بمغامرة قمنا بخوض غمارها بُغية كشف النقاب عن الضّمور الّذي احتوى أذهاننا في كثير من المسائل الّتي تعذّر علينا فهمها، أضف إلى ذلك إعجابنا وتقديرنا لأدب "أحمد رضاحوحو" وما تميّز به من صدق المشاعر ورغبة في التّغيير، ومشاركاته المتنوّعة في الساحة الأدبيّة (قصة، ومقال، ومسرحية،...)، وكذا اكتشافنا أنّ قلّة قليلة جعلوا من "السّخرية" موضوعا لدراساتهم، ما جعلنا نُقبل على هذه الدّراسة لكي نُسهم ولو بالشّيء القليل في ميدانها خاصّة ما تعلّق منها بالأدب الجزائري.

وقد حاولنا من خلال هذا العمل الإجابة عن بعض التساؤلات الّتي ظلّت تراودنا وهي كالآتي: «ما هي حقيقة السّخرية، وما الأسباب والدّوافع الّتي تنجم عنها؟ وإذا عرفنا

ذلك؛ فما الأساليب الّتي تتجلّى من خلالها؟ وكيف يكون واقعها في الأدب؟ وماذا قصد "أحمدرضاحوحو" من خلالها في أعماله»؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وتلك عمدنا إلى خطّة محكمة، متكونة من فصلين يتقدّمهما فصل تمهيدي تناولنا فيه مصطلح السّخرية بمختلف تعريفاته المتعدّدة ما أحالنا إلى تعريف يعبّر عن حقيقتها مع ذكرنا لأسبابها وأهدافها لننتهي إلى تنوّع أساليبها؛ فكان الفصل الأوّل بعنوان "السّخرية في الأدب"، وقد تضمّن ثلاثة عناصر أساسيّة؛ تطرّقنا في العنصر الأوّل إلى واقع السّخرية في الأدب الأوروبي، وتطرّقنا في العنصر الثاني إلى واقعها في الأدب العربي، أمّا الثالث فخصّصناه لواقعها في الأدب الجزائري. ليليه الفصل الثاني بعنوان "تجلّي السّخرية في بعض أعمال حوحو السّاخرة" لينقسم، بدوره، إلى ثلاثة عناصر جعلنا من أوّلها ركيزة نتعرّف، من خلالها، إلى سمات أسلوب "حوحو" الأدبي بشكل عام بعنوان "أحمد رضا حوحو أديبا" لنخلص، في العنصر الثاني والثالث، إلى دراسة فنّية بداية بقصّة "الشّيخ رزّوق" والّتي انتهينا فيها إلى أنواع من أساليب السّخرية، بحيث أضفنا إليها أساليب ساخرة من بعض قصصه الأخرى، وتليها دراسة مقال "الزّواج" الذي نخلص فيه، أيضا، إلى أنواع من أساليب السّخرية، أضفنا إليها أخرى من خلال مقال "مع حمار الحكيم"، وختمنا بحثنا بخلاصة أوجزنا فيها كلّ ما توصّلنا إليه من نتائج.

وقد ألجأتنا طبيعة بحثنا إلى استخدام أكثر من قراءة منهجية، نذكر منها: التّاريخيّة والوصفية وكذا السردية (من السرديات).

ومن أهمّ الكتب التي كانت عوناً لنا في دراستنا، نذكر: "السّخرية في الأدب الجزائري الحديث" لمحمّد ناصر بوحجام، و"السّخرية في الأدب العربي" لمحمّد أمين طه، و"السخرية في أدب إيميل حبيبي" لياسين فاعور.

وكأي بحث أو دراسة لا تخلو من عقبات، فقد واجهتنا عدّة صعوبات وعراقيل، نذكر منها، على سبيل المثال، قلّة المصادر والمراجع في هذا الموضوع، أضف إلى ذلك تشابك أساليب السّخرية، ممّا صعّب علينا تصنيفها.

وسواء أكنّا أصبنا أم أخطأنا، فإن قصارى جهدنا أننا رمنا خوض غمار هذا الضرب من الكتابة الأدبية، أمّا البحث فما يزال غير كامل. ولذلك، لا ندّعي أيّ ادّعاء بأنّنا قد كفينا غيرنا عناء البحث في هذا الموضوع الأجدر بالتّوسيع والتّعميق والاستقصاء,

الفصل التمهيدي:

ماهية السخرية

الإنسان ميّال بطبعه إلى السّخرية وما تثيره من ضحك، و هاته طبيعة جُبِلَ عليها.

يصعب علينا التّحديد بدقّة ظهور هذا المصطلح في المجتمع الإنساني، فهو متواجد منذ الأزل، فقد عُثر في الآثار المصرية القديمة على ما يحيل على وجود السّخرية في هذه الحضارة العريقة، ذلك من خلال رسومات على جدران الأهرامات والمعابد القديمة، ومن بينها بردية عليها طائر دون جناحين يحاول صعود شجرة بسلم خشبي. هذه الصورة تؤول بالإنسان إلى الضحك إثر رؤيته لها، فهي تخالف المألوف والمتعارف عليه في الواقع ممّا يجعل المنظر موضوع ضحك وسخرية[1].

فالسّخرية: «رومانية الأصل ومعناها السّلة الّتي تجمع فيها بواكير الفاكهة، ثمّ أصبح لهذا اللّفظ معنى السّخرية فيما بعد، وهكذا تطوّرت دلالة المصطلح إلى الدراسة الأدبية التي تتناول هذا الموضوع من الأدب الّذي أطلق عليه "الأدب السّاخر"، ومنه كانت السُّخرية وسيلة للتسلية أو السّخرية بذكر المعنى المخالف تماما لما يقول الشخص، كأن تدعو الرجل الأحمق بأنّه ذكي جداً»[2].

فنجد أنّ السّخرية: «....ترعرعت بين أحضان الفلسفة لا الأدب، قبل أن تنتقل إلى النظرية الأدبية والدّرس البلاغي: وردت كلمة Eironia "" في جمهورية "أفلاطون"، على لسان أحد الأشخاص الذين وقعوا فريسة محاورات "سقراط" وهي طريقة معينة في

(1) ينظر: شمسي واقف زادة،: "الأدب الساخر أنواعه وتطوره على مدى العصور الماضية"، فصيلة دراسا ت الأدب المعاصر، سنة 3، العدد 12، ص04.

(2) ياسين أحمد فاعور: "السخرية في أدب إيميل جبيبي"، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د.ط فيفري 1993م، ص15.

استدراج شخص ما حتى يصل إلى الاعتراف بجهله، وكانت الكلمة نفسها تعني عند "أرسطو" الاستخدام المراوغ للغة، وهي عنده شكل من أشكال

البلاغة (....) و حين تم انتقال السخرية إلى الدّرس البلاغي تَمَّ التعامل معها كمجاز "Trope" والّذي يُصنّف بشكل عام انطلاقا من معيار تعايش مستويين من المعنى في دالّ واحد (...)، هكذا أدرج "Vossius" السّخرية ضمن المجازات الرئيسية...» [1].

وممّا تقدّم يمكننا القول أنّ تطوّر مصطلح السّخرية مرتبط بالفلسفة اليونانية حيث اتّخذه "سقراط" في الذّود عن مفهومي الحقيقة والعدالة، فكان الأساس الذي تقوم عليه حواراته الفلسفية مع السُّفسطائيين المُدّعين معرفة حقيقة الأشياء، فاستخدم تقنية توليد الأفكار حيث يقدّم أسئلة ساذجة تجعله في موكب الرّجل الجاهل، فيحاول الطّرف الآخر الرّد عليه وبدوره يستجدّ ويولّد أسئلة أخرى أصعب وأعقد ما يعجز من قدرة الآخر عن الإجابة، فتنقلب الآية ويتجلى جهله ويعود "سقراط" لهيئته الأصليّة أي الرّجل الدّاهية بحكمته ودهائه[2].

(1) شعرية الرواية التسجيلية العربية، تحليل رواية: ما يحدث في مصر الآن"، من الموقع الإلكتروني: www.bettna.com/articals/rt/f131.html

(2) ينظر: سامية مشتوب: "السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة"، قسم اللغة و الأدب العربي (ماجستير)، 2011م، ص6، 7.

1. السخرية لغة و اصطلاحا:

أ. لغـــــــــــــــــة:

«سخر: سَخِرَ منهُ وبهِ سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخْراً بالضّم، وسُخْرَةً وسِخْرِيًّا و سُخريًّا وسُخريَةً: هزئ به (...) وقيل: السُّخْريُّ بالضم من التسخير و اِلسّخْرِيُّ بالكسر من الهُزْء [1].

والتّسخير التّذليل و سُفُنٌ سَواخِرُ في العمل، إذا أطاعت وطابت لها الرّيح.

وفلان سُخرةٌ يقال: يَتَسَخّرُ في العمل، ويقال خادمة سُخْرَةٌ ورجلُ سُخرَةً أيضا: يُسْخَرُ منه[2]، وقال الأخفش: سَخِرتُ منه وسَخرْتُ به، وضحكت منه وضحكت به، كل ّذلك يقال[3]، وسَخرَ فُلاناً سِخرِيّاً وسُخرِيّاَ كلَّفَهُ ما لا يُريدُهُ وقَهرهُ (....)، ومسْخَراً هُزئَ به ومنه ﴿إنْ تَسْخَرُوا منَّا فإنَّا نَسْخَرُ منكمْ كما تَسْخَرُون﴾[هود:38.]. أي إن تستجهلونا تنسبونا إلى الجهل فإنّنا نستجهلكم كما تستجهلوننا .

سَخّرَهُ وتسخَّرَهُ كلَّفهُ عملاً بلا أجرة، ومنه ﴿وسَخّرَ لكمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دائبيْنِ﴾[إبراهيم: 33.]، وفي الكليّات كلّ ما في القرآن من سَخَرَ فهو الاستهزاء إلاّ

---

(1) ابن منظور: "لسان العرب"، م4، مادة: أبر-عير، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 2003، 1424ه، ص407، 408.
(2) إسماعيل بن حماد الجوهري: " تاج اللغة وصحاح العربية"، ج2، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، القاهرة، 1376هـ/1956م، ط.2، بيروت، 1399هـ/1979م، ص680.
(3) المرجع نفسه، ص679.

سَخرِيًّا في الزّخرف حيث يقول: ﴿ليَتَّخذَ بعْضُكمْ بعضاً سخْرِيّاً﴾[الزخرف: 32.]، فإنّ المراد التّسخير والاستخدام »[1].

والقصيدة السّخرية أضحوكة نظمها بعض المولّدين يقول في أوّلها:

عَجَبُ عجَبُ عجبُ عجبُ ‹ š قُطَطٌ سُودُ ولهـــــــــــــــا ذَنبُ

تصْطادُ الفارَ من الأوكـــــاَ ‹ š رِ تَطِيحُ الحِيطَ وتنقــَلِـــــــــبُ[2]

نجد في كتاب الله سَخِرَ بمعنى الإستهزاء، خمس عشرة مرّة، وكأنّها تُلمِّح للاستمرارية أثر السّخرية مستقبلا وواقعها في الجانب النّفسي و الإجتماعي، فالمولى جلّ جلاله نسبه إلى نفسه في عدّة آيات ما يُبيح استعمالها في التوجيه والإصلاح[3].

نلاحظ أنّ المعنى المُعجمي يقع جلُّه في جانب التذليل والإستهزاء و الإحتقار، ولا يعطينا تعريفاً محدّداً لها، وسوف ننتقل إلى المعنى الإصطلاحي للمصطلح، ونرى إذا ما كان هناك تعريفا محدّدًا.

(1) بطرس البستاني: " محيط المحيط؛قاموس عصري مطول للغة العربية"، م4، 1234هـ/1300هـ = 1819م-1883م، اعتنى وأضاف زيادته:محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2009 م، ص382.
(2) المرجع نفسه، ص282.
(3) ينظر: نزار عبد الله خليل الضمور: " السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، قسم اللغة العربية و آدابها (دكتوراه)، جامعة مؤتة، 2005م.

ب. اصطلاحـــــــــا:

تعتبر السُّخرية مصطلحا زاخراً بتعريفاتٍ قد تتّفق أحياناً وتتضارب في أحايين شتّى، حيث يقول" أبو القاسم رادفرا"(*):

«تُعتبر السّخرية طريقا خاصّاً للتّعبير عن القضايا الّتي تدعوا إلى الانتقاد في المجتمعات بلغةٍ ساخرةٍ مِلؤها الضّحك والمُزاح وهي مرآة صادقة للحقيقة من ناحية، كما أنّها طريق للتّعبير عن الاضطراب، والمساوئ السيّئات و معايب الفرد والمجتمع.

... ومن هذا المنطلق يدافع الأديب السّاخر عن القيم الإنسانية.....مشيرا إلى مواضع الظّلم»[1]، والأديب السّاخر يمتلك قدرة على إضحاك الباكي المُثقل بالهموم والأحزان، المتجرّع لمرارة الأحزان، فيخفّف عنه حمل هته الأثقال الّتي تكدّر النّفوس وتُظلمها، بل في أحايين تكون السّبب في زهق العديد من الأرواح فيجيء هذا الأديب السّاخر ليكون أُسلوبه تعبيرا عن المعاناة، مدافعا ضدّ الظُّلم، باحثا عن كلّ تغيير نحو الأحسن[2].إنّ السّخرية تجعلنا نتعرّف على الإنسان وعلى اللّذين وُجّهت السّخرية إليهم، ولا تهدف إلى هذه الغاية ، توقظ السّخرية النّاس من سباتهم العميق... لأنّ الغاية الكبرى من السّخرية تحقيق الوعي وإيجاد اليقضة»[3]

أيّ أنّ مهمتها هي إيقاض الوعي وتوجيه الرّأي العامّ.

(*) كاتب هندي،صاحب دكتوراه في اللغة الفا رسية وآدابها، من مواليد سنة 1953م.
(1) أبو القاسم رادفر:" السّخرية لغتها أشكالها، و دوافعها"، جامعة آزاد العالمية، جيرفت، السبت29 كانون الثاني، يناير 2015م.
(2) ينظر: المرجع نفسه.
(3) ينظر: المرجع نفسه.

بالإضافة إلى ما تقدّم، يمكن اعتبار السّخرية وسيلة للنّيل من الآخرين، بُغية تحقيق أهداف متعدّدة: كالإساءة و التّشفّي، وإظهار التفوّق، والتّخلص من ظروف قاهرة، و الإستخفاف والإستهانة، وكذا الدّفاع عن النّفس وتفريغ الطّاقة [1].

ويقول "نبيل راغب فرج": «...وستظلّ السّخرية جزءاً عضويا لا يتجزّأ من تكوين النّفس البشرية الّتي تستخدمها كما يستخدم القنفذ أشواكه....» [2].نفهم أنّ السّخرية أداة هجوم يدفع بها المرؤ الشرّ دفعاً عن نفسه.

أمّا " عبد الحليم حفني" قد عرّفها بقوله:«السّخرية أسلوب أو سلاح عدائي، ومهما صغرت درجاتها، أو كبرت، ويتميّز عن غيره من اساليب العداء بأنّه مصوغ بروح الفكاهة، وأسلوبها»[3].

صحيح أنّ السخرية يشوبها الحسّ الفكاهي، لكن لا تنحصر جلّها في جانب العداء، من خلال القول نجد تعدّياً على المصطلح وتقصيراً في حقّه، وهذا ليس من منظور تبرئة المصطلح لكن يجب أن ننظر إليه من جوانب شتّى، ولا نقف عند سمة واحدة من سماته فنعمّمها عليه.

يقول "إبراهيم صادق الكاوري":«السّخرية طريقة في الكلام يعبّر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل في حالة إستهزاء و تهكم.... فالغاية من السخرية الصادرة عن

---

(1) ينظر: ياسين فاعور:"السخرية في أدب إيميل حبيبي"، ص14.
(2) نبيل راغب فرج:"الأدب الساخر؛ الأعمال الخاصّة"، مهرجان القاهرة للجميع د.ط ، 2000م، ص39.
(3) عبد الحليم حفني: "أسلوب السخرية في القرآن الكريم"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط 1978 م، ص15.

الأدباء ليست الضّحك والإضحاك فحسب، بل هي في كثير من الأحيان تكون تصويراً للحالات السّياسية أو الاجتماعية أو....» [1]، أي أنّ الأديب السّاخر يهاجم بسخريته وضعية أو موقفا مرفوضا سواء في الجانب السياسي أو ظاهرة مجتمعية وغيرها من الظواهر.

يقول أحدهم: « ....هي طريقة في التهكم المرير، و التنذّر أو الهجاء الّذي ظهر في المعنى بعكس ما يظنّه الإنسان.....»، نلاحظ من خلال هذا التعريف إدراج عناصر عدّة تحت رداء السّخرية كالتَهكُم و التَنَذُّرِ والهِجاءِ ويُفصح عن صورة من صور السّخرية عندما يكون الهجاء في صيغة المدح من خلال قوله:« أو الهجاء....بعكس»[2].

ويقول آخر: «هي طريقة من طرق التّعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صورة من صور الفكاهة، تعرض السّلوك المعوّجّ أو الأخطاء، الّتي إن فطِن إليها...فنان موهوب(...) وأحسن عرضها، تكون(...) في يده سلاحا مميتاً»[3].

أيّ على الأديب السّاخر أن يكون فطِناً عالما بالسّخرية وكيفية استعمالها، فيعالج أخطاء المجتمع بأساليبه الذّكية الساخرة، ونلاحظ في بادئ القول إدراج السّخرية ضمن أنواع الفكاهة.

---

(1) صادق إبراهيم كاوري: " السخرية في الشعر العربي الحديث والمعاصر"، مجلة المعرفة، العدد 511، نيسان 2006م، ص98.
(2) نعمان محمد أمين طه: "السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرّابع الهجري"، دار التوفيقية، ط.1898،1ه1978م،ص14.
(3) المرجع السابق، ص13.

وممّا لفت انتباهنا تناقض الباحثين في تعريفهم للسّخرية، فمنهم من اعتبرها هجاءًا مثل:"محمد محمد حسين" في كتابه " الهجاء والهجّاؤون"، و "إيليا الحاوي" في كتابه: " فنّ الهجاء وتطوّره عند العرب"، و " عباس بيومي عجلان" في كتابه: " الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية"، ومن الباحثين من مزج السخرية والفكاهة أو العكس، فمثلا يرى "العقاد" من خلال " جحا الضاحك المضحك" أنّ السخرية لون من ألوان الفكاهة، بينما يذهب " عبد القادر إبراهيم المازني" إلى جعل الفكاهة كجزء من أجزاء السّخرية، ومن الباحثين من يصل بهم الأمر إلى درجة التناقض مع أنفسهم مثل: "شوقي ضيف" الّذي جعل السخرية تحت لواء الهجاء في دراسته" تاريخ الأدب العربي؛ العصر العباسي الثاني"، وكتابه:" الفن ومذاهبه في الشعر العربي"[1]، ليأتي في كتابه:"الفكاهة في مصر" ويصنفها كأرقى نوع من أنواع الفكاهة فيقول:

«السّخرية أرقى انواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء، وخفاء، ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة الّذين يهزؤون بالعقائد والخرافات، ويستخدمها السّاسة للنكاية بخصومهم، حينئذ تكون لذعاً خالصاً ، وقد تستخدم في رقّة وحينئذ تكون تهكّماً إذ يلمس صاحبها لمساً رقيقاً....» [2]،يتابع "شوقي" كلامه فيقول: «... وعلى ذلك فاللّذع والتهكم لونان من ألوان السخرية....» [3].

(1) ينظر: جهاد عبد القادر قويدر: " شعر الفكاهة في العصر العباسي؛ دراسة نقدية تحليلية" (ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، 2008-2009م، ص37.
(2) شوقي ضيف: " الفكاهة في مصر"، نقلا عن:" الفكاهة في الأدب العربي" لأبي عيسى فتحي محمد عوض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1969م، ص35.
(3) المرجع نفسه، ص35.

يرى الكاتب أنّ السّخرية نوع من أنواع الفكاهة حين تكون في أشدّ رقيّها من ذكاء، ومكر ما لا نجده في الفكاهة المتعارف عليها.

وتتعدّد تعاريف السّخرية وتتلون،وهو ما يحول دون تحديد تعريفٍ جامعٍ مانعٍ لها، حيث تتقاطع مع عناصر عدّة: كالفكاهة والضحك، الهجاء، والناذرة، والتهكم، والاستهزاء وكذا المزاح والطّرفة[1].

يقول:" علي السيّد محمّد خليفة":«يبقى ابسط تعريف للفكاهة يمكن قبوله هو أنّها العمل أو القول الذي يثير الضحك»[2]، أي أنّ الضحك هو غرضها الوحيد.

«فالفكاهة يمكن أن تكون استعداداً أو تهيؤاً خاصّا بالعقل: استعداد للبحث عن البهجة أو السّرور أو اكتشافهما وإبداعهما أيضاً، وكل ما يتعلّق بها نسمّيه "حسّ الفكاهة" منها: النكتة و الدعابة والظرف...» [3]، ومن هنا نكتشف أنّ الفكاهة لا ترمي إلى الانتقاد أو التذليل كما في السّخرية، فهي تصبوا إلى إدخال البهجة إلى النّفوس، والغرض من السخرية النقد أوّلا، والإضحاك ثانيا، أمّا القاسم المشترك بينهما فهو الضحك.

إنّ جوهر الفكاهة هو الخيال المُضحك، حيث تتجسّد من خلال فعلٍ أو قولٍ أو كتابةٍ[4]، وترتبط الفكاهة بالحالة النّفسية للإنسان، فانشراح النفس وطيبتها من سمات الرّجل

(1) ينظر: خير الدين قاسم محمد محمد سعيد العبادي:" السخرية في شعر بشار بن برد"، (ماجستير)، جامعة الموصل، 2005م-1426هـ، ص07.
(2) علي محمد السيد خليفة:" الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني؛ دراسة تحليلية"، دار الوفاء للطباعة والنشر،الإسكندرية، ط.1، 2010م، ص13.
(3) شاكر عبد الحميد: " الفكاهة والضحك؛ رؤية جديدة"، إصدارات المجلس الوطني للنشر والفنون و الآداب، 2003، ص14.
(4) ينظر: المرجع نفسه ص14.

الفكه، والنّفس الإنسانية ميّالة إلى الفكاهة بطبعها[1]،«....ويربطها "الثعالبي" بالضحك من خلال قوله: " إذا كان الرّجل طيّب النّفس ضحوكاً فهو فكِه... فالضحك ظاهرة فطرية، نعمة من الله على البشر ليقووا على مصاعب الحياة. ويخِفُّ الضغط النّفسي على كاهلهم"»[2]. هذا يبيّن لنا أن للضحك فوائد كبيرة تعود بالنّفع على صحّة الإنسان من خلال الفكاهة، «فالرّجل الّذي لا مكانة للفكاهة في نفسه، يسوق عجلات حياته دون ما زيت أو " تشحيم"، مثل هذا تضرس أسنانه، و تتحطّم أعصابه ...وجدير بمثل هذا أن يتعلم كيف يبتسم للحياة وكيف يتذوّق الفكاهة...» [3].

ويؤكّد " ابو حيّان التوحيدي" على القيمة النّفسية للضحك بقوله لأحد تلامذته:«إياك أن تعاف هذه الاشياء المضروبة بالهزل، الجارية على السّخف، فإنّك لو أضربت عنها جملة، لَنَقُص فهمك وتبلّد عقلك....» [4].

يشبه الضحك عصاً سحريّة تجلو الأحزان والهموم عن النّفوس، فما مفهوم هذا الأخير؟ وكيف تتجلّى هذه الظّاهرة؟ وهل يرادف السّخرية؟

يقرر"مكدوجل" أنّ الضحك غريزة ذات وطأة قويّة في نفس الإنسان، سببه تفاعلات (نفسية، دموية، وإفرازية)، ما يساعد على تجديد الطاقة واسترجاع الشعور

---

(1) ينظر: رياض قزيحة:" الفكاهة في الأدب الأندلسي"، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط.1، 1418هـ-1998م، ص14
(2) نزار عبد الله خليل الضمور: "السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص5.
(3) نجيب توفيق: " الفكاهة والظرفاء أيام زمان"، المكتبة الأزهرية للتراث، ط.1، 1998م-1418هـ ، ص3،4.
(4) المرجع نفسه، ص4.

بالحيوية، وتمسح الكآبة والشوائب النّفسية[1]، «ومهما يكن فإنّ الضحك علاج طبيعي ضد الانفعالات والتأثرات الوجدانية الّتي نتعرض لها أو تتعرض لنا –على الأصحّ-، في بعض المواقف والمشاهد....» [2].

فالضحك لا ينبعث دائما من السرور كما يقول " مكدوجل" فهو حجاب يستر آلامنا على الآخرين كما يقول المثل: "من الهمّ ما يضحك"[3].

يبدو أنّ مصدر السخرية والضحك واحد، وهو الآلام والأوجاع ما يبعث على استخدامها كسلاحٍ واقٍ، ولكن كلّ عنصر متفرّد على الآخر فلكلّ ميزاته.

وإذا انتقلنا إلى الهجاء، وجدنا الأديب يثور مباشرة في وجه خصمه، يتناوله بالسّباب والصفات الذميمة أثناء إصابته بنوبة الغضب[4].

أمّا في السّخرية فيكتفي الأديب بضحكة أو ابتسامة ساخرة تكون أشدّ وطأة في النّيل من الخصم، وتكمن الناذرة في محاولة إسقاط أو إظهار العيوب بطريقة ملتوية[5]، كشخصية " جحا" وما نتج عنه من فنّ حكائيّ مرح شاع عنه اسم النواذر بطلها "جحا" الّذي استطاع أن يجعل من نفسه شخصية أخرى يسخر منها عن طريق التحامق والغباء[6]، ويُقصد بالتهكم طرح سؤال ساذج تصنّعاً للجهل، بغرض تخليص العقول من العلم الزّائف،

(1) ينظر: فتحي محمد عوض أبو عيسى:" الفكاهة في الأدب العربي"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1969م، ص17.
(2) محمّد الأخضر السائحي:" ألوان بلا تلوين"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، 1976م، ص9.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص9.
(4) ينظر: ياسين فاعور: السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص31.
(5) ينظر: خير الدين قاسم محمد محمد سعيد العبادي، " السخرية في شعر بشار بن برد"، ص11.
(6) ينظر: محمد رجب النّجار"جحا العربي"، إشراف:أحمد مشاري العدواني،سلسلة عالم المعرفة،د،ط، يناير 1978م، ص8،9.

وإعدادها لقبول الحقّ ويقصد بها حديثا تأييد رأي بما يعارضه بقصد السّخرية[1]، ويشترك التهكم مع السّخرية في كونهما يدلان على الهزء والتكبر والشعور بالأفضلية وهو يمثل أقصى درجات السّخرية[2].

أمّا الاستهزاء فيقتضي الإنقاص من الّذي يستهزء به على عكس المزاح الّذي يكون نقيضاً له، حيث لا يمث للتجريح بصلة[3]. وفي الاستهزاء إنزال بالشخص بغرض إدخال الهوان والحقارة عليه[4].

وننتهي إلى الطرفة، حيث ترتبط بما يّشيع أجواء الأنس والبهجة ويجلب الضحك والبسمة، والترويح عن القلب لتبعث التفاؤل والأمل في النّفس، تُلتقط من قضايا الشعوب حيث تسجّل الأحداث تسجيلا صادقاً[5].

وإذا أمعنا النظر وجدنا تموقع الضحك في كلّ العناصر المذكورة حتى وإن قلّ في الهجاء، أو انكمش وتقلّص في التهكّم والاستهزاء.

رغم تداخل السّخرية مع عناصر عدّة، لقد تأكّد لنا أنّها فنّ قائم بذاته. لذا ،يصعب الاستقرار على تعريف جامع مانع. وبقولنا أنّه فن،فهذا اعتراف في حدّ ذاته

(1) ينظر المرجع السابق.، ص10.
(2) ينظر: سامية مشتوب: " السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة"، ص10.
(3) ينظر: خير الدين قاسم محمد محمد سعيد العبادي، السخرية في شعب بشار بن برد، ص12.
(4) ينظر: المرجع نفسه، ص12.
(5) ينظر: صالح محمد سليمان: " الطرفة في الأدب الفلسطني"، (ماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2003-2004م ص10.

لصعوبته لأنّ الفنّ شيء حيّ، و«....لا يمكن الإحاطة به وتصويره ببعض ألفاظ قاصرة إذ هو حي متحرّك....» [1].

وما نستطيع قوله أنّ الأدب السّاخر جوهره نقد الحياة بغية تغيير بعض مظاهرها إلى الأحسن، وقد ظهر هذا اللّون الأدبي في العديد من الكتابات الساخرة سواء كانت شعرية أو نثرية، ونشير غلى أنّ هناك فرق كبير بين الأدب الساخر كمفهوم شامل وبين عنصر السّخرية، الّذي يمكن أن يوظّفه الأديب، فيقول " نبيل راغب فرج":«السخرية في الأدب هي العنصر الّذي يحتوي على توليفة درامية من النقد والهجاء، والتلميح(...)والتهكم والدعابة، وذلك بهدف التعريض بشخص أو مبدأ أو فكرة أو أيّ شيء وتعريته بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات (....) فإنّ الهدف الأوّل للأدب الساخر هو هدف تصحيحي سواء على المستوى الأخلاقي أو المستوى الجمالي....»[2].

و هي «نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الإنتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، الفردية منها والجماعية»[3].

ونُنبّهُ إلى أنّ السخرية إذا كانت للإصلاح فهي تَنجم عن أسباب سويّة وإذا كانت العكس أي غير سويّة؛ مثلا أن تكون بغرض الإنتقام فتصبح حينها، أدباً تهكّميا أو استهزائيا.

---

(1) نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص 14.
(2) نبيل راغب فرج، الأدب الساخر، ص13.
(3) شاكر عبد الحميد: " الفكاهة والضحك ؛رؤية جديدة"، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط ، يناير 2003م، ص51.

وهنايحضرنا قول "أحمد أمين":«إنّ الأدب الرّاقي ينبغي أن تكون له صفة أخلاقية، ويجب أن يثير مشاعرنا الصحيحة لا المريضة وينمي طبيعتنا (...) والحقّ أنّ الفنّ لا قيمة له في ذاته، وإنّما قيمته في أنّه يمدّ باللّذة الرّاقية....» [1]، فلا بدّ من استمرارية العلاقة القائمة بين الأدب والخُلق في كلّ فنّ[2]، وهذا ما نرجوه في فنّ السّخرية كي تصل إلى الأهداف السامية الّتي تدفع بالأمّة إلى التطوّر والازدهار.

والسخرية سلاحٌ خطيرٌ حين يستعملها الأديب في تحليل الأعمال الأدبية تصل به إلى حدّ تجريح وسحق الفنّان، لذلك يُستحسن أن تبقى حبيسة المجال الأدبيّ الّذي يصبو إلى نقد البشر والظواهر الإجتماعية والإنسانية بشكل عام[3].

2. أسباب السخرية ودوافعها

قبل التطرّق إلى السبب الذي يدعو إلى السّخرية، يتبادر إلى أذهاننا سؤال: ما صفات الساخر؟ والإجابة تحيلنا إلى الأسباب التي تدفع الأديب الساخر إلى السّخرية .وعليه يتّضح أنّ الّتي الصفة الأولى ذات الأهمية في شخصية الساخر هي الذكاء؛ فلا مقدرة له من دونه على ولوج فن السخرية، وفقدان هاته الصفة تكبح الإنسان في الدّفاع عن نفسه أمام مكر الأشرار. ضف إلى ذلك "المجانة" الّتي تعدّ صفة داخلية تتمركز في أعماق السّاخر وهي مجموعة انفعالات أساسها الزهو المقترن بالمنافسة و الغرور والاعتداد بالنفس وغيرها من

(1) محمد مرتاض: " النقد الأدبي في المغرب العربي بين القديم والحديث"، دار هومة للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص116.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص116.
(3) ينظر: نبيل راغب فرج، الأدب الساخر، ص14.

انفعالات تنبني عليها عاطفة الساخر، ونذكر من طباعه اللامبالاة أو الجرأة الّتي تقوده للضحك من الآخر بشتى الطرق إما بالتقليد في الفنّ الأدبي أو بالرّسم في الفنّ الكاريكاتوري. كما يجب على القائم بالسّخرية أن يكون هادئ الطبع، متحكّما في أعصابه، مشغّلا لعقله، سريع البديهة، واسع الخيال ما يدفعه لابتكار صور بارعة لإغاظة الخصم وإثارة الضحك في نفسه السّاخرة او إضحاك الناس منها[1].

وتتعدّد أسباب السّخرية ودوافعها فمن غير الممكن الإحاطة بجميعها لذلك نذكر منها ما يلي:

Ø يتخذ الشعراء أو الأدباء بشكل عام من السخرية سلاحاً حاداً للحصول على حقوقهم المنتهكة" كبشار بن برد" و " الحطيئة". وقد تُنمّ عن نُقص في الشاعر سواء في الجانب الجمالي أو المادي أو المكانة الإجتماعية، وربما تنجم عن نفس انتقامية، يتخذها الشّاعر كردّة فعل لما يتلقّاه من مذلاّت وشتائم[2]، «فالسخرية تترجم حاجة روحية: المجتمع يسحق الشاعر بلامبالاته وإنكاره، فيسحقه الشاعر بأن يسخر منه ويحتقره....» [3].

Ø وقد تعود الرغبة في السّخرية من الآخر إلى الحالة المزاجية للساخر ما يجعله متأهّبا دوما للتعريض بالآخر، ويمكن أن يكون الشخص ميّالا إلى الشرّ بطبعه، ومنهم من يجد متعة

(1) ينظر: نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص18، 19.
(2) ينظر: شمسي واقف زادة، الأدب الساخر أنواعه وتطوره على مدى العصورالماضية، ص105.
(3) أدونيس: " مقدمة للشعر العربي"، دار العودة، بيروت، ط.3، 1979/01/01م، ص40.

في إيلام الآخر لنقص في شخصيته وقلّة ثقته بنفسه فيتّخذ من السّخرية وسيلة لتدارك هذا النّقص أو تغطيته[1].

Øنستطيع القول:«إنّنا نسخر من الغير إذا وجدنا فيه مغايرة لطبيعة المجتمع وشذوداً عن واقع الحياة، فالحياة تحب أن ترى أثرها في الأحياء ، من نشاط وحيوية(...)فإذا وجدت غير ذلك ثارت عليه (...)وتقصد الحياة عن طريق هؤلاء المفكرين والموهوبين إلى إنزال نوع من العقاب تلطّفه الفكاهة وتخفّفه النكتة الساخرة منه، ولكن إلى الحدّ الذي يضمن قوة الإحساس بالعقاب، ويمكن له من تحقيق آثاره»[2].

وقد تتجلّى هذه الآثار في الخجل أو الشعور بوجاهة النقد والامتثال له، أو أي استجابة تدعو إلى التغيير، هنا تكون السخرية قد أدّت واجبها، بتوجيه من خرجوا عن قانون الحياة الطبيعية[3].

Øوقد تسخر من مفارقات الحياة الّتي نعيشها أو نصادفها كلّ يوم وهي كثيرة؛ فقد يقوم شخص بتعامل إنساني مع قريبه او صديقه ولا ينتظر من ورائه شكرا ولا مقابلاً، لكن هذا الصديق أو القريب يتنكر له بل قد يتمرّد عليه، فيكون الموقف مثيرا للسّخرية لعدم توافقه مع الصفات الإنسانية المعقولة[4]، وقد يسخر الإنسان من نفسه ليفرّ بها خشية تحامل

---

(1) ينظر:نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص17، 18.
(2) ينظر:حامد عبده الهوال: "السخرية في أدب المازني"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ،1982م ص29.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص25، 26.
(4) ينظر: المرجع نفسه، ص32.

المجتمع عليه؛ حين يتفطّن لعيبه[1]، وأبرز الأمور الّتي تُذكي نار السّخرية في نفس الساخر، هي محاولة التخفيف من مرارة الآلام التي تعترض الناس في حياتهم اليومية وتُكدّر صفو عيشهم.

3.أساليب السخرية وصورها

.بما أنّنا في خضم الحديث عن أساليب السّخرية وصورها، سنحاول في البداية إعطاء تعريف مختصر لأنواعها لكي تتسع نظرة القارئ قبل الولوج إلى أساليبها وصورها، وعليه نستطيع تقسيم السخرية إلى أنواع ثلاث، وهي:

أ.السخرية الإنتقادية:

وتتجلى في جميع أنواع الشعر الساخر الذي يهدف إلى السخرية من الظواهر السلبية المخزية في الحياة سواء كانت ذات طابع سياسي أو اجتماعي أو أدبي، ولا نخصّ هذا النوع بالشعر فقط، بل نجده حتى في الفنون النثرية الّتي يصبو صاحبها إلى انتقاد الأوضاع السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية.

ب.السخرية العقلية:

وقد ارتبطت بالمعتزلة و منهجهم العقلي، حيث يتهكمون ويسخرون بالناس من منطلق أنّ طبقتهم مغايرة لطبقة الناس المادية، لكنّ سخريتهم لم تحمل في جنباتها أحقاداً؛

(1) ينظر: عبد الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص16.

فالإنتقاد عندهم نابع من عطفهم على الناس بُغية تنبيههم لعيوبهم، بغرض إصلاحها .ويمكن تسمية هذا الإنتقاد بالهجاء البريء الخالي من سُمّ العداوة [1].

ج.السخرية الفكاهية:

والّتي تكون بغرض الإضحاك لا غير، وذلك ترويحا عن النّفس وطرد ما عليها من سَأَم[2].

بعد هذا التقديم المختصر لأنواع الفن ألا وهو السخرية نتساءل عن ماهية أساليبها وماذا نقصد بالأسلوب؟

ينتقي الفنان ألفاظه عن مكنوناته من مشاعر وأفكار وقد اختمرت في ذهنه فيشكل منها أساليب ليبلغ غاياته المتمثلة في إقناع المتلقّي بما يريد إيصاله إليه، فالأسلوب بالنسبة " لبرفون" "Burffon" يمثل الرجل من خلال كتابه "مقالات في الأسلوب"، أمّا بالنسبة "لشوبنهاور" "Shopen Hauer" فهو ملامح التفكير، أمّا "فلوبير" "Flaubert" فيراه طريقةً مطلقةً في تقدير الأشياء[3]. من خلال ما تقدم يتبين لنا أنّ الأسلوب هو الطريقة أو المنهجية لبلوغ الهدف.

تتعدد أساليب السخرية وصورها عبر العصور ومنها:

(1) ينظرشمسي واقف زادة،الأدب الساخرأنواعه وتطوره على مدى العصور الماضية،ص106،107
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص106، 107.
(3) إيمان طبشي: " النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين"، (ماجستير)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010 – 2011م،ص17

- السخرية بالمحاكاة: فهي من أوائل صورها وأقدمها، ذاع صيتها في تاريخ البشرية،وتتجلى في تقليد الكلام أو الحركات الجسمية، أو أنماطٍ سلوكية، تُفصح عن سمات بارزة لشخصية ما، والسبب الذي يجعل التقليد مثيرا للسخرية هو ارتداء الساخر الشخصية المسخور منه كعباءة يتماجن بها[1].

- المناداة بالألقاب: تُعدّ من أقدم صور السخرية، تمتاز بالسذاجة الساخرة، يُستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب، كتسمية الشخص السمين بالفيل، وفيما بعد يُصبح الاسم الذي يطلق عليه، ومن ذلك إعطاء صفة معكوسة لصيقة بشخص لا يتميز بها، كإطلاق صفة الهزيل على المكتنز.

- السخرية بالصوت: من خلال إعطائه نبرات خاصّة كرفعه أو خفضه، ما لا يمكن إيصاله عن طريق القلم، وكذا السخرية عن طريق اللعب بملامح الوجه من خلال تحريك عضلاته أو انفراج أساريره[2].

- أمّا النّوع الرّابع فيكمن في معالجة الشيء الحقير وكأنّه عظيم، ما يصطلح عليه " الذمّ بما يشبه المدح"، ونمثل ذلك بعالمٍ يخاطب جاهلاً بقوله له: " القمر يغار منك",

- ويظهر النوع الخامس في معالجة الشيء العظيم كأنّه حقير: يمكن أن يعدّ من طرق الإستهزاء، مثلما يشبه "يتلر" أماكن العبادة المسيحية بالمصرف.

---

(1) ينظر: نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص37.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص37، 38.

- ومن أنواع السخرية نجد تجاهل العارف أو التباله، هي الطريقة الشائعة عند "سقراط"، كأن يسأل الأب ابنه الراسب ما إذا نجح وهو يعلم رسوبه حقّ العلم.

- أمّا التّعريض فقد شاع في الأدب العربي[1]،وهو أسلوب يَعتمَدُ التعبير غير المباشر والتلاعب بالمعاني دون أن يكون بينهما تلاؤم مشروط،وهو الكلام الذي يقصدبه المتكلم غير معناه، دونما تلازم بين المعنيين، وبذلك يمنح التعريض جمالية للتعبير وطرافة للقول تُمكّن الساخر من إصابة المسخور منه بسهامه بطريقة تمتزج بالخفاء والذكاء والإيلام[2].

- ونذهب إلى التصوير المبالغ فيه (الكاريكاتير): «يقوم على تكبير جوانب الضعف أو القبح في شيء ما، فيبالغ فيها بقصد استغلال الطبيعة في بيان عنصر التشويه، فتكون باعثا على الضحك في الوقت التي تؤدّي فيه غرضا اجتماعيا وإنسانيا عظيما.....» [3].

- السخرية التراجيدية: تقوم على التورية؛ أي استعمال الشخص لألفاظ في ظاهرها تعني شيء يخالف معناها في نفسه، هذا ما يكسب التورية عبقرية ودهاءً، ومن ذلك رجل يُقدّم لأعدائه طعاما مسموماً وهو يقول: طعاما هنيئا يا سادة.

السخرية عن طريق الصور الملفقة المضحكة: أو ما يصطلح عليه بالإدعاءات الكاذبة، والتشنيع عن طريق النوادر والنكت.

---

(1) ينظر: نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص38، 39.
(2) ينظر: محمد بن قاسم ناصر بوحجام: " السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925-1962)"، ط.1، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1425هـ /2004م، ص215.
(3) حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص18.

- ومنها مجابهة الشخص بعكس ما يتوقع، كسرعة الجواب الساخر، من ذلك الناذرة التي تروي إخفاق صياد في إصابة عصفور، فقابل له الساخر: أحسنت! فقال الصياد: أو تهزأ بي؟ فأجابه الساخر بسرعة: ولكنك أحسنت إلى العصفور[1]!

- وهناك السخرية بالمفارقة: تستخدم بمهارة في القصص، ومن أمثالها: دخل رجل عند طبيب في عيادته فحسبه الطبيب مريضا يطلب علاجه، فأراد التلميح له بمقدار أجره دون مساومة، فعمد إلى مكالمة مصطنعة في هاتفه فراح يخاطب مكالمه المزيّف: نعم أنا الدكتور فلان، إني مشغول جدا، تسأل عن المبلغ المستحق؟ هو كما أخبرتك أربع جنيهات... وأنت تعلم هذا، حسن إلى اللقاء.

بعدما انتهى من مكالمته المبتدعة، التفت إلى الزائر يسأله سبب مجيئه، فأجاب الزائر: لا شيء... أنا موظف مصلحة الهاتف، قد طلبتني لإصلاح هاتفك، لم يستخدم الساخر لغة مضحكة، إنما ترك الموقف للقارئ أو السامع، فيضحك منه ما شاء من الضحك[2].

- ونذكر السّخرية بالجمل أو التعبيرات اللاذعة، : وقد شاعت في الآداب الأجنبية وهي جمل تكون كالمثل السائد تتناول أشخاصا أو مهنا بالنّقد اللاّذع له صيغة التعريف، ومن أمثلته قول أحدٍ في الأمريكيين: الأمريكيون أحرار لأنّهم "يستلمون" حريات كثيرة!!

(1) ينظر: نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، 42، 43.
(2) ينظر: المرجع نفسه ، ص46.

- وأخيراً التّلاعب اللّفظي: يحاول من خلاله الساخر أن يُكسِب الألفاظ معاني تخالف معانيها الواضحة، فإذا اكتشف السامع القصد منها أي المعنى الغريب يسخر من فهمه الأول لمعنى الجملة فيضحك، وينبني التلاعب اللفظي على اختصار الفكرة أو تبديل الكلمات المكوّنة لها، أو العبث بالإعجام كاسم " فاطمة الزهراء" فيقول " فاطمة الزعراء" [1].

من خلال ما تقدّم، خرجنا بنتيجة مفادها: أنّ السّخرية فنّ راق، قائم بذاته هدفه كشف الستار عن العيوب المجتمعية أو الفردية، ذات البعد السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي بغرض تصويبها أو تداركها، أو التقليل منها، عن طريق انتقادها بشتى الوسائل، والغاية تبرر الوسيلة إذا كان أسمى غاياتها هو الإصلاح؛ فهذا الفن يأبى أن يعايش الرذائل والنقائص دونما إحداث تغيير أو إنذار لها[2].

بعد هذا كلّه، سنلج في الفصل الموالي إلى واقع هذا الفن في الأدب الأوروبي والعربي، وكذا الجزائري، لكي تتضح لنا الرّؤية من خلال نماذج وتجارب حيّة، نستطيع من خلالها التفاعل أكثر مع هذه الظاهرة الجمالية.

(1) ينظر: نعمان طه، السخرية في الأدب العربي ، ص47.
(2) ينظر: المرجع نفسه ،ص47.

الفصل الأول:

السخرية في الأدب

1. السخرية في الأدب الأوروبي

يُعدُّ الأدب السّاخر أدباً عالمياً؛ فهو موجود عند الشّعوب كلّها ولا يقتصر وجوده عند شعب دون الآخر. ومن هنا، رأينا أن نقوم بإطلالة على هذا الأدب عن طريق بعض الأسماء الّتي بزغ نجمها في سماء هذا الفنّ؛ فـــ «على الرغم من أنّ هناك فقرات من الثورات وأشعار "هومروس الملحمية" تتميز بروح السّخرية الواضحة، وعلى الرّغم من أنّ مسرحيات "أريسطو فانس" الكوميدية زاخرة بالطلقات الساخرة الثقيلة، فإنّ أوّل كتابات ساخرة تخضع للمواصفات النقدية للسخرية كانت باللاتينية، فقد كان الكاتب الرّوماني "لوسيليان" المتوفى عام (103ق.م)، رائدا فعليّا في هذا المجال.... [1]»؛ فكتاباته السّاخرة ليست تعليقا ساخرا مؤقّتا لظاهرة معيّنة، إنّما جنّدها في سبيل سبر أغوار النّفس البشرية ليبتِر كلّ ما يكبح العقل عن النظرة الصّحيحة للأمور، وبهذا أرسى القواعد الأولى لهذا الفنّ، الذي سار بعده في تطويره "هوراس" المتوفى عام (8ق.م)، ثمّ "بيبريسيون" المتوفى عام (62 بعد الميلاد)، و"جافينال" المتوفى عام(140 بعد الميلاد)، من خلال قصائدهم المتخصصة في السخرية من أنماط التفكير السائد؛ ففي العصور الوسطى، أُغرم الناس بهذه القصائد رغم التزمّت الدّيني الّذي حاول قتلها بجدّيته. ومع عصر النهضة، أصبحت قصائد "هوراس" و "جافينال" الساخرة نموذجاً لأغلب الأدباء في معظم اللّغات الأوروبية[2]. ومع حلول الفترة الكلاسيكية الجديدة، انتشرت القصيدة الروائية الّتي تمزج البطولة بالتهكم ابتغاء نقد النّفس البشرية الّتي تجمع بين البطولة والرذيلة في آنٍ واحد مثلما نجد في قصائد " تاسوني" و "بوالو" في كل من إيطاليا و فرنسا[3]«وكان لوم الإنسانية وتوبيخها وزجرها خاصية أساسية في

(1) نبيل راغب فرج، الأدب الساخر، ص16.
(2) ينظر: المرجع نفسه ، ص17، 16.
(3) ينظر:المرجع نفسه ، ص17.

أعمال أدبية كثيرة (...)فقد زخرت مسرحيات " بن جونسون" و "موليير" و "برنارد شو" و "يوجين أونيل" بفقرات مشحونة بالسّخرية اللاّذعة والمريرة المكتوبة بالنثر بعيدا عن تقاليد الشعر السّاخر»[1]. أمّا أشهر الكتابات السّاخرة في العصور الحديثة فقد مثُلت في جنس الرواية من خلال أعمال "رابليه"، و"سرفانتيس"، و"سويفت"، و"فولتير"، و"صامويل بانلر"، حيث طبعت السخرية اللاّذعة أو الرّحيمة مواقفهم وشخصياتهم التي جسدت الضّعف الإنساني كالإغراء والخسّة[2].

لقد شهد فنّ السّخرية تطوّرا على أيدي عمالقة كبار، رسخت أسماؤهم في الأذهان على مرّ العصور، مثل " موليير" (1673/1622م) شيخ السّخرية الفرنسية بلا منازع[3]، الّذي أنجز مسرحيات عديدة: "دون جارسي"، و" أميرة إيلد"، و"أمفتريون"، و"العشّاق المدهشون"،"وترتوف"، و"دون جوان"، و"عدوّ البشر"، و" البخيل"[4]، حيث نال من الأخلاق الذميمة كالغيرة والبخل والكذب؛ ففي روايته "ترتوف"، مثلاً، سخر من المجتمع الفرنسي القائم على أولئك المنافقين الّذين يخفون عيوبهم ومفاسدهم بلباس من مظاهر الصّلح والتّقوى، وبعد كسبه الملك "لويس الرّابع عشر"في صفّه استطاع تمثيلها على خشبة المسرح[5]. و«...يذهب الدكتور علي درويش إلى أنّ مسرح موليير يدلّ على تصور

(1) نبيل راغب فرج،الأدب الساخر، ص18.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص18، 19.
(3) ينظر: ياسين فاعور، السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص57.
(4) ينظر: محمد علي الكردي: " الفكاهة في الأدب الفرنسي عبر العصور"، برعاية السيد سوزان مبارك، سلسلة الأعمال الخاصة ، مهرجان القراءة للجميع،د.ط ، 2002م، ص45، 46.
(5) ينظر: المرجع السابق، ص57.

"واقعي" للإنسانية، بشتّى ما تتميّز به من رذائل وعيوب...» [1]، ففي مسرحية "ترتوف" تصدّى "موليير" إلى العيوب الخُلُقية والإجتماعية وما تخلّفه من آثار هدّامة. وهذا لم يخلق الكآبة في مسرحياته، بل خلق جوّاً مليئاً بالمرح[2]، مثلما يجعلنا نضحك من شحّ "هارباغون" بطل مسرحية " البخيل"[3].

وفي القرن السادس عشر، ظهر الكاتب الفرنسي " رابليه" (1493-1553م) الذي قضى حياته متنقلا بين مدن فرنسا وإيطاليا، حيث استهدفت سخريته اللّاذعة المجتمع الفرنسي وملوكه، ودعا لترك التزمّت في الحياة من خلال تهكّمه بالمتطيّرين والمتصوّفين داعيا للانطلاق في الحياة دون قيود تقليدية لا تمتّ للمنطق بصلة[4]. «ومن أشهر الكتّاب السّاخرين في تلك الفترة في إنجلترا " سموئيل بيكت و دريدن»[5].

لقد عرف الأدب السّاخر تطوّراً وازدهاراً خلال العصر الثامن عشر، وهو ما يعرف بالعصر الذهبي لهذا الفنّ، حيث برز فيه: "فولتير"، و"روسو" في فرنسا، و كلّ من "ستيل" و"أديسون" و"سويفت" و"فيلدنج" و"بوب" في إنجلترا، وكذا "تسيخ" وغيره في ألمانيا[6].

---

(1) عبد العزيز شرف: " الأدب الفكاهي"،إشراف:محمودعلي مكي، الشركة العالمية المصرية للنشر، لونجمان، ط.1، 1992م، ص140.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص141.
(3) ينظر: هنري برجسون: " الضحك"، ترجمة: علي مقلد، د.ط، د.ت، ص18.
(4) ينظر: ياسين فاعور، السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص58.
(5) ينظر: المرجع نفسه، ص18.
(6) ينظر: المرجع نفسه، ص58.

ويرى الدّارسون أنّ رواية " دون كيشوت" هي أعمق رواية عالمية تأثيرا في الأدب الإنجليزي خلال القرن الثامن عشر، حيث أفاد عنصر السخرية فيها كثيرا من الكتاب لتسخير الرواية نحو النّقد الإجتماعي، نذكر من بينهم "هنري فيلدنج" و"جوزيف آندروز"[1]. تعدُّ الرّواية الكيشوتية من أروع الروايات وأشهرها، أبدع فيها الكاتب الإسباني "ميجيل دي سرفانتيس" (1547-1616م)، حيث استوحى مادّته من العصور الوسطى وما كانت تقدّسه من معتقدات عن الفروسية والدّين آنذاك؛ فيظهر البطل "دونكيشوت" رفقة خادمه في مواقف مضحكة ساخرة تنجم عن طريقة تصوير "سرفانتيس" لبطله، ذلك الفارس الأحمق الّذي يحارب الهواء مدّعيا الشّجاعة، وما يضاعف من درجة السّخرية في الرواية، ذلك التناقض بين شخصية "كيشوت" البطل الّذي سما في تفكيره وحَمُقَ في مسلكه وبين خادمه "سانكو"ذوالنرجسية الريفية والطاعة العمياء لسيّده، فمن خلال "كيشوت" سخر "سرفانتيس"[(*)] من وهم الفروسية في عصره[2].

ولا ننسى ذكر "ويليام شيكسبير" (1564-1616م) الّذي برع في رواياته الساخرة بلونها المشرق والمظلم؛ فتبرز شخصية "فولستاف"، مثلاً، في صورة الرجل الضخم السكير الساخر من الطبقة العليا.

(1) ينظر: عبد العزيز شرف: "الأدب الفكاهي"ص ، 114.
(*) ولد سرفانتيس مؤلف مغامرات " دونت كيشوت" في قشتالة الجديدة سنة 1547م، دخل الجيش وأسره القراصنة 5 سنوات ثمّ تفرّغ للأدب والتأليف، كانت حياته صراعا مستمرا في كفاح الفقر، ظهر الجزء الأول من روايته "دون كيشوت" عام 1605م، وهو في الثامنة والخمسين من عمره/ ونشر الجزء الثاني منها عام 1615م، أفل نجم هذا الكاتب المتألق سنة 1616م، وهي السنة التي مات فيها شيكسبير.
(2) ينظر: ياسين فاعور، السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص59، 60.

وفي القرن التاسع عشر، نجد كلّ من (تشارلز ديكتز، و ثاكري و لود بيرون) قد سخروا من المجتمع الإنجليزي؛ مثل ما فعل "ديكتز" في روايته"عن العالم الحديث الشجاع"[1].

وهناك "جورج برناردشو" الإرلندي ولد (سنة 1856م)، الّذي اشتهر بصراحته ولذاعة قلمه، ومن مسرحياته الساخرة (عربة التفاح)، يسخر فيها من روتينية الإنتخابات ومن بين ما قاله على لسان بطلها "بونرجس"[2]: «إنّني أكلّم هؤلاء الرجال والنساء عن الديمقراطية، أقول لهم عندكم حقّ التصويت (...) استعملوا سلطتكم، فيقولون هذا صحّ قّل لنا ماذا نفعل، فأقول لهم: استعملوا أصواتكم بعقل، صوّتوا لي فيفعلون، هذه هي الديمقراطية»[3]. وقد سَخِر مرة من زعيم المحافظين " ونستن تشرشل"؛ فقال عنه: «إنّه لبريطانيا كالزوجة بالنسبة للرجل شرّ لابدّ منه»[4].

من خلال ذكرنا لبعض ألمع نجوم السّخرية عند الغرب، يتّضح لنا أنّهم قد استعملوا السّخرية في نقد المجتمع، كما فعل "بترونيس" في نقد المجتمع الروماني، وسار على نهجه "رابليه" و " سرفانتيس" في العصور الوسطى، وتبعهم بعد ذلك الكثير من الأدباء على مرّ الزمن، مثل:"شو" شيخ الساخرين الإجتماعيين الذي وظف سخريته لإصلاح المجتمع عن طريق هدم التقاليد السالبة وقد كان شعاره " الدنيا إحدى نكات العالم"، حيث نظر إلى

(1) ينظر: المرجع السابق، ص59.
(2) ينظر: عادل الفريحات :" الأدب الساخر والضاحك"، ص185، http://Archif beta.Sakhrit.
(3) ينظر: عادل الفريحات، الأدب الساخر والضاحك، ص185.
(4) ينظر: المرجع نفسه، ص185.

العالم بأكمله بنظرة ساخرة[1]. وقد كان الألم هو المنبع الفيّاض لسخريتهم في أغلب الأحيان؛ فمثلا، إذا نظرنا إلى "جونسون"، نلفيه قد عاش طفولته سقيما، عانى ويلات الأمراض الرمدية والعصبية. وكان "بوب" سقيما بحساسيته المفرطة للبرودة الّتي دفعته إلى مضاعفة الألبسة تحت قميصه السميك. أضف إلى ذلك، نوبات الصداع الّتي كانت تأتي على ما تبقى من قواه. وكان "سويفت" يتيما سئم العيش في كنف عمّه[2].

وليس فنّ السّخرية مرتبطاً بالتّعبير بالكلمات فقط، بل يمكن أن يسجّل حضوره من خلال الرقص والموسيقى والفنون التشكيلية[3]. «ولن يستطيع باحث في السّخرية أن يتجاوز الفنّ "الكاريكاتيري" في الآداب الأوروبية، لأنّ هذا الفنّ استطاع على امتداد مراحل الصراع في المجتمع الإنساني الحديث أن يعالج الكثير من مظاهر الحُمق وضروب الظّلم (...) و إدخال السّرور»[4]. ويُقال إنّ نشأة هذا الفنّ كانت على يد الفنّان الإيطالي "أنيبال كراكشي" (1560-1609م)؛ فهو أوّل من رسم للتاريخ الحديث صوراً تبعث على الضحك بعضها تصوّر النّاس المحيطين به. وقد برز الكاريكاتير عند العرب في شكل صور شعرية[5].

(1) ينظر: نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص54،55.
(2) المرجع نفسه، ص57، 58.
(3) ينظر: نبيل راغب فرج، الأدب الساخر، ص19.
(4) ينظر، ياسين فاعور، السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص63.
(5) ينظر المرجع نفسه، ص63.

وبالتالي، يمكننا القول بأنّ السخرية عند الأوروبيين شهدت تطوّراً ملحوظاً منذ اكتمال معالمها في العصر الذهبي؛ فازدهرت على أيدي روّادٍ ذاع صيتهم في أرجاء العالم، وصلت من خلالهم إلى عالميتها.

2. السخرية في الأدب العربي

شهد أدبنا العربي العديد من الصّور السّاخرة؛ فمعالم هذا الفنّ لم تكن واضحة، حيث ارتبط في العصر الجاهلي بالغضب والهجاء والتعريض. و«يكون الهجاء مع فضاضته وخشونته نوعا من السخرية، وعلى الرّغم مما يبعث في نفس المهجو من الضّيق والألم فإنّه يثير الضحك عن طريق إبراز العيوب وتجسيمها والمبالغة في تصويرها... تجعل المهجو غير ملائم للصورة الطبيعية الّتي يجب أن يكون عليها الكائن»[1]. ومن ذلك، ما قاله "حسّان ابن ثابت" في هجائه لبني عبد المدّان بطول أجسامهم وبدانتهم:

لاَ بأْسَ بِقَومٍ مِن طُولٍ وَمِنْ غِلْظِ **a b** جِسْمُ البِغَالِ وأَحلاَمُ العَصَافِيرِ[2]

فتشبيه حسان لأجسام بني مُدان وعقولهم بالحيوانات يخلق موقفاً ساخراً يُبرز من خلاله عيوبهم الجسدية والنّفسية.

وقد عرفت العرب نوعا آخر من الهجاء يكون ظاهره مدحاً وباطنه قدحاً. من ذلك، ما قاله "قريط بن أنيف العبيري" في قومه:

---

(1) محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص22.
(2) عبد الرحمن البرقوقي:" شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري"، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط.3، بيروت، 1983م، ص270.

لكنّ قوْمي وَإِنْ كانُوا ذَوي عَدَدٍ a b ليْسُوا من الشّرِّ في شيءٍ وإنْ هانَا

يُجْزَوْنَ مِنْ أَهْلِ الظّلْمِ مَغْفِـــرَةً a b وَمِنْ إِساءَةِ أَهْلِ السَّوْءِ إِحْسانَا

كَأَنّ ربَّك لَمْ يَخْلُق لِخَشْيَتِـــــه a b سِواهُم مِنْ جَمِيعِ النّاسِ إِنْسانَا

فليْتَ لي بِهِمْ قَومٌ إذَا ركِبُـــــوا a b شَنُّوا الإغَارةَ فُرساناً ورُكْبَانَا[1]

في هذه المقطوعة، تناول الشاعر قومه بالصفات الحميدة كالعفّة والحلم والخشوع بدايةً، لينقلب في البيت الأخير فيتّهمهم بالضّعف والتّذلّل. وهذه صورة أخرى من صور السّخرية، يُصطلح عليها " مجابهة الشخص بغير ما يتوقع"؛ «فيكون تهكّماً مريرًا (...) يَظهر فيه المعنى بغير ما يظنه الإنسان»[2]. من هنا، نلاحظ تجلّي ومضاتٍ من السّخرية في الشّعر الجاهلي بصفة خاصّة كونه ديوان العرب آنذاك، وقد طغى عليه الهجاء «الساخر في العادة غير صريح التعبير (...) و العرب لا يعرفون إلاّ الصّراحة في التّعبير (...) إذن كانت هناك سخرية في العصر الجاهلي (...) و لم تكن هذه السخرية عميقة....» [3].

وقد كان لانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية الأثر الكبير في تراجع حدّة الهجاء؛ فقد حرّم الصّراعات والنّزاعات وانتهاك الحُرمات، ما دعا إلى تراجع السّخرية لارتباطها الوثيق به. لكن سرعان ما يعود الهجاء إلى الميدان؛ فقد سخّرت قريش كلّ

(1) فتحي محمد عوض أبو عيسى، السخرية في الأدب العربي، ص68.
(2) ينظر: محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص29.
(3) طه نعمان، السخرية في الأدب العربي، ص66-77.

أشعارها للنّيل من الدّعوة المحمّدية بقذف الإسلام والمسلمين، ما دفع المسلمين إلى الرّد عليهم بالمثل؛ فظهر ما يصطلح عليه " بالهجاء السّياسي "[1].

أمّا في العصر الأموي، فقد انتشر فنّ السّخرية لأسباب كثيرة، أبرزها التنافس على أبواب الخلفاء والولاّة، حُبّاً في التقرب إليهم والعيش تحت ظلالهم للتمتّع بالنّعيم ورَغَد العيشِ في جوارهم؛ فانقسمت القبائل في كلّ من "الكوفة" و"البصرة"، وبرزت أحزاب منها: (حزب الزبيرية والشيعة)، ما أكسب العصبية القبلية ميلادا جديدا؛ فظهر شعر النقائض[*] الممزوج بالسّخرية، ومن أقطابه:"جرير"(653 /728)و"الفرزدق" (641/732م)، و"الأخطل" (640/710م)، حيث جمعتهم أهاجي شعرية ساخرة[2].

من بين هؤلاء الأعلام كانت الصدارة "لجرير" في هذا الفنّ، وسنذكر أبياتا استغلّ فيها بشاعة وجه "الفرزدق" وقِصرِ قامته ليولّد صورة ساخرة فيقول:

لَقَدْ وَلَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ فَاجِراً وَجَاءَ بِوَزْوَازٍ[* *] قَصِيرِ القَوَائِمِ[3]

ومن مضامين السّخرية عند"جرير" السّخرية بالدّين المنحرف، حيث استغلّ هذه النقطة للنّيل من "الأخطل" الّذي كان يعتنق النّصرانية لا بجوهرها وإنّما على مسار الانحراف بهذا الدين؛ فاستغل "جرير" الموقف لصالحه ليتناول بالسخرية كلاّ من الخصم وأهله قائلاً:

---

(1) ينظر: شمسي واقف زادة، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصورالماضية، ص113.

(*)النقائض جمع نقيضة، وهي قصيدة تتضمن نوعا من التباري الفني بين الشعراء، في غرض الهجاء، فيقوم كلّ شاعر بهجاء الآخر، ما يدفع كلّ واحد في استخدام جميع الأسلحة الفنية المشروعة وغير المشروعة للقضاء على الخصم في حلبة الصراع بين مجاميع غفيرة من النّاس.

(2) عبد الرحمن عبد الحميد علي: " الأدب العربي في العصر الإسلامي والأموي"، دار الكتب، د.ط، د.ت، ص46.

(* *)الكثير الحركة.

لَعَنَ الإلهُ نِسيةً من تغـــلـــــبٍ a b يرْفَعْنَ مِنْ قطَعِ العباءِ خُدُوراَ

الجَاعِلِينَ لِمَا سَرَحْبَسَ(*) حجّهُمُ a b وَحَجِيجُ مَكّةَ يَكْثُرُ التّكْبِيرَا

مِنْ كُلّ حَنْكَلَةٍ(**) تَرَى جِلبَابَهاَ لاَ a b فَروا فَتَقْلِبُ لِلْعَبَاءَةِ نَسِيرَا[1]

فجرير يُعيّر نساء "تغلب" قوم "الأخطل" بدينهنّ، واللّواتي يكشفن عمّا سترت جلابيبهنّ.

ومِن هنا، يتّضح أنّ السّخرية وإلى غاية العصر الأموي بقيت مرتبطة بالهجاء الممتزج بعنصر الإضحاك؛ فهو قائم على تعمّد الإساءة للشّخص المهجوّ.

ومع بداية العصر العبّاسي وما ميّزه من ازدهار الآداب والفنون، بدت ملامح التأثّر ببعض الحضارات الأجنبية (كالفارسية والهندية والسريانية)، ما دعا إلى ارتقاء السّخرية الّتي عرفت نقلة نوعية، حيث اتضّحت معالمها وبدأت قواعدها الأولى تترسّخ كفنّ قائم بذاته؛ إذ عرف هذا العصر انتشار التّرف ورغد العيش وشيوعَ الفكاهة والظرف؛ فلا عجب أن يظهر العديد من الشعراء، كـــ "بشار بن برد" و" أبي ونّاس" و"الأصفهاني"، أضف إلى ذلك العديد من الكتّاب، مثل "الجاحظ" و"بديع الزمان الهمداني" و" عبد الله بن المقفع"[2].

وسنورد مثالاً من الشعر فيما قاله الأصفهاني في باب السخرية من ملامح الوجه:

وَجْهُ المُغيرةِ كُلّهُ أنْـــــفُ a b مُوفٍ عليه كأنّهُ سَقْـــــفُ

(1) انتصارحسين عويز:"فن السخرية عند جرير"، مركزدراسات الكوفة،العدد15،2009م،ص66
(2) ينظر: نعمان طه، السخرية في الأدب العربي، ص112.

رجلٌ كوَجْهِ البَغْلِ تُبْصرهُ **a b** منْ أَجْلِ ذَاكَ أمَامَهُ خَلَفُ![1]

وهناك سخريات تناولت مختلف أعضاء الجسم لا يسع المجال لذكرها. وإذا أتينا على ذكر أبرز الساخرين الذين اكتملت شخصياتهم الساخرة، نذكر :"عبد الله بن المقفع"، هذه الشخصية التي تألّقت في سماء هذا الفنّ من خلال كتابه "كليلة ودمنة" «الذي سخر فيه الكاتب من أعظم خليفة عباسي عرف ببطشه وعسفه وهو الخليفة المنصور....» [2]، حيث أراد "ابن المقفع" أن يتوجّه إليه بالنّصح فلم يجد من طريقة سوى الحديث بلسان الحيوان، ما دفع به إلى ترجمة كتاب "كليلة ودمنة" الّذي ضمّ حكايات على ألسنة الحيوانات نسجها الفيلسوف "بيدبا" لنجاته وقومه من شرور ومكر ملكهم "دبشليم"؛ فلم يُرد الفيلسوف الإفصاح بلسانه، صوناً لنفسه من الهلاك على يد الملك. وضمّ الكتاب حكايات متنوّعة اشتغل عليها "بيدبا"ودسَّ فيها ألواناً من العبر والحِكم؛ فنهاية كلّ حكاية تحيل إلى بداية حكاية أخرى، كلٌّ في ترابط محكم وتسلسل رائع، تتّسم بحسٍّ عالٍ من الدّقة والبراعة، ما يوحي بدهاء صاحبها[3]. يقول "بيدبا": «... والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها، وتأديبُها بحكمتِها، وإظهار الحجّة البيّنة اللاّزمة لهم: ليرتدعوا عمّا هم عليه من الإعْوجاج والخروج عنِ العدلِ»[4].

(1) المرجع السابق، ص113.
(2) ياسين فاعور، السخرية في أدب إميل حبيبي، ص33.
(3) ينظر: بيديا الفيلسوف الهندي: "كليلة ودمنة" ترجمة: عبد الله بن المقفع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.3، 2004م-1425هـ.
(4) المرجع نفسه، ص18.

وقد أبدع "بديع الزمان الهمداني" في مقاماته التي عبرت عن جوانب عديدة من عصره سياسية كانت أو اجتماعية. وقد حفلت هذه المقامات بعناصر عدّة، نذكر على سبيل المثال (المفارقات(*)، الأسماء المضحكة، وغيرها) [1]؛ فالمفارقة تلعب دورا أساسيا في إضحاكنا كما في المقامة الأصفهانية؛ فها هو "عيسى بن هشام" يقصد المسجد لصلاة الجماعة، طالبا للتبرّك والتوفيق قبل الإنطلاق مع القافلة، ما يريده طمأنينة وارتياحًا، لكن سرعان ما تتحول الطمأنينة إلى ألوان من العذاب وسط جماعة مشدّدة في العبادات وإمام يطيل الصلاة لساعات.

أخذ الفزع والرّعب يَدِبُّ في قلب "عيسى" مخافة ذهاب القافلة دون اصطحابه[2]؛ فيقول في الإمام: «وأتبع الفاتحة الواقعة، وأنا أتصلّى نار الصبر وأتصلّب(**) وأتقلّى على جمر الغيظ وأتقلّب، وليس إلاّ السكوت والصبر أو الكلام والقبر، لما عرَفْتُ من خشونة القوم في ذلك المقام، أن لو قطعت الصلاة دون السلام، فوقفت بقدم الضرورة على تلك الصورة إلى انتهاء السورة، وقد قنطت من القافلة وأَيِسْتُ من الرَّحْلِ والراحِلَة»[3]. وهنا، يجد عيسى نفسه بين نارين، أيبقى في الصلاة رغم طول وقتها أم يتركها للحاق بالقافلة؛ فنلاحظ ضعف إيمانه وهو مشغول العقل بين تركٍ أو بقاءٍ في الصّلاة. أضف إلى ذلك أنّ المقامة تبرز لنا ظاهرة إطالة بعض الأئمة في الصلاة على حساب المصلّين وانشغالاتهم. ونحن، هنا، لا ندعو إلى ترك الصلاة وإنّما الإطالة المفرطة والتشدّد في الدّين قد يصرف العديد عن ولوج

(*) مفردها المفارقة وهي التنافر أو انعدام التجانس بين الاشياء التي جمعها الكاتب في موضع واحد.
(1) ينظر: محمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني.
(2) ينظر: مْحمد السيد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني،ص31
(3) المرجع نفسه، ص31، 32.

المساجد. وما يمكننا قوله هو أنّ مقامات الهمذاني تتعدّد، فهي تبعث في القارئ حِسّا عالياً من التشويق، ما يدفعنا إلى متابعة قراءتها والتّطلّع إلى معرفة نهاياتها.

أمّا "الجاحظ" فيبقى الرّائد الأوّل في تأسيس فنّ السّخرية؛ فهو يُكسي خصمه ما بدا له من حُمقٍ وغفلةٍ، ومدحٍ وقدحٍ في آنٍ واحدٍ. من ذلك، "رسالة التربيع والتدوير" التي كتبها لـــ "أحمد بن عبد الوهاب"، يسخر فيها منه ويتهكم به؛ فهي تُعدُّ أوّل رسالة في الأدب العربي تُجسّد أنموذجا إنسانيا في قالب مركّز من السّخرية؛ فلو أنّ رساماً أبدع وتفنّن في رسم لوحته بكلّ تقنياته، ما استطاع تجاوز "الجاحظ" في رسمه وتجسيده لشخصيته[1]، حيث يقول في رسالته: «وأنا – أبقاك الله - أعشق إنصافك، كما أتعشّقُ المرأة الحسناء، وأتعلّم خضوعك للحقّ، كما أتعلّم النصفة في الدين، ولربما ظننت أنّ جورك إنصاف قومٍ آخرين وما أظنّك صِرت إلى مُعارضة الحجة بالشبهة (...) واليقين بالشك، واليقظة بالحلم، إلاّ للّذي خصّصتَ به منْ إيثار الحق، وألهمته من فضيلة الإنصاف، حتّى صرت أحوج ما تكون إلى الإنكار أذعن ما تكون بالإقرار....» [2]. يتناول "الجاحظ" شخصيته بالتمزيق من الجوانب كلّها إلى أن تصير رماداً فلا يبقى منها شيء.

أمّا الدّافع الّذي أدّى به إلى كتابة هذه الرّسالة فهو غيظه الشديد من مكانة خصمه "عبد الوهاب" في المجتمع؛ فقد كان "عبد الوهاب" هذا من طائفة الكُتُاب، احتلّ مركزا مرموقا في قلوب الخلفاء؛ فرأى "الجاحظ" أنّه في غير مكانه؛ فلو أنصفه الزمان لكان هو

(1) عبد الحليم محمد حسين: " السخرية في أدب الجاحظ"، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط.1، 1397 و .ز -1988م، ص187.
(2) المرجع نفسه، ص209.

الخليفة بعينه، هذا كلّه جعل قلبه يحترق غيظاً من خصمه، ما دعاه إلى تفجير قنبلة في وجهه وهي ما اصطلح عليها برسالة التربيع والتدوير[1]. وقد أبدع الجاحظ في "البخلاء" الذي يعدُّ واحداً من أشهر كتبه، وفيه أبهرنا بنماذج لبخلاء تفنّنوا في الشّح والتقشّف، حيث «أضحكنا بتصوير طرقهم في الحرص والاقتصاد وحيلهم في صرف الضّيف عن الطعام»[2]. من هنا، يتّضح أنّ "الجاحظ" قد اتّخذ من المجتمع مادّة لقلمه؛ فشرع يبدعُ ويتألق من خلال أعماله التي أبهرت كلّ مطلع عليها. هذا كلّه جعله يشقّ طريقه باحترافية في ميدان السّخرية[3].

وعليه، فقد شهدت السّخرية في العصر العباسي تطوّراً ورواجاً، حيث اتّضحت معالمها واكتملت، بعدما اكتنفها من الضمور فيما سبق من العصور.

وقد حفل الأدب العربي الحديث، بدوره، بالصّور الساخرة، لأنّ هذا الأسلوب كان اللّسان النّاطق بمعاناة المواطن العربي الّذي تألّم،بل تأزّم لمشاكل عديدة انصبّت في طريقه كالرّكام، أو بعبارة أخرى، وقفت في طريقه كجبل من جليد، وسط مجتمع تسوده المفارقات والصّراعات الاجتماعية والسياسية، أضف إلى ذلك فساد الأجهزة السياسية الحاكمة في البلاد العربية وتخاذل الحكام العرب في حلّ قضايا المواطن وهمومه. ولا ننسى ما خلّفه الاستعمار الأجنبي في المجتمعات العربية من قتل ونهب وظواهر سلبية؛ فهذا الواقع

---

(1) ينظر: عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، ص185.
(2) الجاحظ: "البخلاء"، مراجعة وشرح، كرم البستاني، ط.1، دار صادر، بيروت، 1383هـ/1419هـ-1998م، ص7.
(3) ينظر: جميل جبر:" نوادر الجاحظ بقلم الجاحظ"، سلسلة عالم الفكاهة، دار الحضارة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص5.

الشّرس والمتأزّم خلّف واقعاً خاصّاً في نفس المثقف العربي الّذي يعيش حياته «مهملاً مهمشًا (...) كغيمة الصيف لا هو جانب البرّ ولا جانب البحر»[1]؛ فالألم والمعاناة هما جوهر الأدب العربي الساخر شعراً ونثراً؛ فلمعت نجوم في سماء هذا الفنّ، نذكر منها الشاعر العراقي "أحمد مطر" الّذي استطاع استخدام ألوان السخرية بغزارة في شعره، لا سيما في المجال السياسي؛ فالسخرية، عنده، سلاح هجومي لا يتحدّى الأعراف ولا القوانين إذا أُحسن استخدامه، بعبارات ذكيّة تصيب الهدف دون إكساب صاحبها صفة الجاني[2]، نتخير منها ما قاله في الساسة العرب وممارساتهم القمعية تجاه المثقفين العرب لإبادة الحريات والنيل من دعوات الإصلاح والمساواة:

قَرَأْتُ القُرْآنَ:

"تبّتْ يَدا أَبِي لَهبْ"

فأعلنْتُ وَسَائلَ الإِذعَانِ:

"إنّ السّكوتَ مِنْ ذَهَبْ"

أحببتُ فقري.. لم أزل أَتْلُو:

" وَتَبْ

مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبْ"

فَصُودرت حُنْجُرَتِي

بِجُرمِ قلّةِ الأدَبِ

(1) شمسي واقف زادة، الأدب الساخر أنواعه وتطوره، ص119.
(2) ينظر: صادق إبراهيم كاوري: " السخرية في الشعر العربي الحديث والمعاصر" ،مجلة المعرفة، العدد 511، نيسان 2006م، ص104.

وَصُودِرَ القُرآنُ

لِأنّهُ... حَرّضَنِي عَلَى الشّغبْ[1]!

إنّ أبيات الشاعر تعبّر عن رفضٍ تامّ للحصار الإعلامي الّذي انقضّ عليه بأمر من ذوي السّلطة والقرار، ما جعله يأتي بعبارة "السّكوت" بكلّ ما تحمله من ألم مرير في نفسية الشّاعر؛ فإمّا السكوت أو الموت.

ومن أبرز الكتّاب نجد أيضا "إبراهيم عبد القادر المازني"؛ فسخريته لا تكتفي بالضحك، إنّما تتعدّاه إلى ملاحظة الخلل الباطن، المهدّد لجوهر العالم؛ فالسّخرية منحت أدبه حركة حيوية بل تحرّراً تكسوه شجاعة وصلت به إلى حدّ السّخرية من نفسه بُغية التطهّر من أعباء الدّهر ومآسيه؛ فقد تناول نقائض مجتمعه بالنّقد[2]، وقصته (إبراهيم الكاتب) أكبر شاهد على فنّ السّخرية في الأدب المصري المعاصر، وله كتاب " صندوق الدنيا"، و" قبض الريح"، و"حصاد الهشيم"، وغيرها من الكتب تفوح منها رائحة الهزء والسّخر[3]. ولا يفوتنا ذكر "توفيق الحكيم" الّذي أبدع من خلال سلسلته الرّائعة "مع حمار الحكيم". وممّا قاله عن حماره يوم لقائه: «... عرفته في يوم من أيّام الصيف الماضي...في قلب القاهرة(...) ذلك الّذي كُتب لي أن يكون صديقي(...) لقد كان صغير الحجم كأنّه دُمية(...) أبيض كأنّه (...) من رخام، بديع التكوين كأنّه من صنع فنان...» [4]. وسنذكر مقتطفا من مقاله "

(1) محفوظ كحوال: " أروع قصائد أحمد مطر"، سلسلة الشعر العربي المعاصر، أكثر من 230 قصيدة، مكتبة نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دص.ط، د.ت، ص20، 21.
(2) ينظر: حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، ص424، 425.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص365، 366.
(4) توفيق الحكيم: " حمار الحكيم"، دار مصر للطباعة، سعيد خوجة السحار وشركائه، د.ط، د.ت، ص8.

حماري والنفاق" الّذي يطلب فيه الحمار من سيّده تعليمه النفاق؛ فيعجب السيد من طلبه وكان الحوار بينهما كالتالي:

- إنّكم تفهمون وتُتقِنون النّفاق وإنّي أرجوك أن تعلّمني إيّاه.
- من أين لك هذا!
- لو تعلّمنا النّفاق نحن معشر الحمير لانقلبنا آدميّين مثلكم، وأنا متأكد من هذا كلّ التّأكيد، فلا تُحبط مطامعي، ولا تكبح رغبتي الجامحة في الوصول إليه.
- ما بالك!....هل فقدت عقلك؟
- أنا في كامل قواي العقلية... قد قصدتك في شيء قد يشيّد تاريخا جديدا لبني جلدتي، وأنت تشحّ في الإيجاب.
- أمرك عجيب؟ أهو شيء ثمين أبخل به عليك؟[1]

لقد تناول "توفيق الحكيم"، من خلال كتاباته، العديد من مشاكل مجتمعه وتداعياته؛ فمثلاً، في هذا المقال أماط اللّثام عن ظاهرة سلوكية وهي "النفاق" .

وممّن تألّقوا بكتاباتهم الساخرة، الكاتب الفلسطيني " إيميل حبيبي" (1921-1996م) الّذي «اهتمّ(...) بالفكر اهتماماً خاصّاً ورمز إليه (بالكتر) الّذي يجعل أصحابه يستأسدون على السّلطة الجبّارة (...) والتاريخ في كتاباته سيّد الموقف حيث لا حياة

(1) ينظر: عبد العاطي شلبي: " فن النثر الحديث: تحليل مقالات وقصص صغيرة"، ج2، المكتب الجامعي الحديث،د.ط، 2009م، ص12، 13.

لفلسطيني بدون تاريخ»[1]؛ فسخرية "إميل" لا تهدف إلى إمتاع القارئ بإضحاكه، ولكنه يصبو إلى كشف الستار عن حقائق من صلب الواقع، وهو يعلّل لُجوءه إلى الأسلوب الساخر، فيقول: «لجوئي إلى الأدب الساخر يعود إلى أمرين: أوّلهما أنّني أرى في السخرية سلاحاً يحمي الذّات من ضعفها، وثانيهما أنّني أرى فيها تعبيرا عن مأساة هي أكبر من أن يتحمّلها ضمير الإنسانية»[2]. وقد أصدر "حبيبي" أولى رواياته بعنوان " سداسية الأيام الستة" سنة 1969م، «يلتقط فيها شبكة كبيرة من العلاقات الإنسانية، تتمحور حول الأرض والنضال، ينطلق فيها من واقع الاحتلال...» [3].

وقد جعلها في ستّ لوحات متكاملة؛ فنجد قصة "حين سعد مسعود بابن عمه" تتناول موضوع غربة العرب في الأرض المحتلّة بعد نكبة فلسطين 1948م. وهناك قصة "وأخيراً نوّر اللّوز" الّتي ذهبت بوظيفته، وهي تؤكّد ضرورة الوحدة والانتماء العربي. وكذلك، قصته "أم الروبابيكا"، وبطلتها الأمّ الواقعية الّتي تدلّ على الأمّ الكبرى فلسطين[4]. وتطالعنا " قصة العودة" بظلم العدوّ في هدم البيوت وتفجير سكانها بألوان التعذيب والقمع كلّها. أما قصة "الخرزة الزرقاء وعودة جبينه" فقد امتزجت فيها الأسطورة بالواقع. وأخيراً، قصة" الحبّ في قلبي" الّتي تمثل لقاء العائدين بأهل الأرض المحتلّة بعد عشرين عامًا[5]؛ «...

(1) ياسين فاعور، السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص78.
(2) المرجع نفسه، ص91.
(3) المرجع نفسه،ص 79.
(4)ينظر: المرجع نفسه، ص80، 81.
(5) ينظر: المرجع نفسه، ص82، 83.

فكانت سداسية الأيام الستة هي حقّا أنموذجا ناضجا وأصيلا لأدب المقاومة المليء بالجمال الإنساني والجمال الفنّي معاً»[1].

كما أصدر "حبيبي" رواية " الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" يُدين فيها العجز الفلسطيني ويفضح ظلم الصّهيونية وممارساتها ضدّ شعب فلسطين[2]. كما نشر حكاية مسرحية بعنوان " لكع بن لكع" (...)يعكس فيها الكاتب حلاً للصّراع العربي الفلسطيني، وهو ما سنلاحظه في أحد حواراتها:

السيّاف: لنتفَاوَضْ

الشّاب: النّطعُ لَيْسَ لِلْمُفَاوَضَة، سَيْفٌ وَسِيقْ.

السيّاف: هلْ مِنْ بَدِيلْ.

الشّاب: اغمِدْ النّطْعَ واغْمِد السّيْفْ.

السيّاف: وسَيْفِي.

الشّاب: نَصُكُّهُ مِحْرَاثًا.

السيّاف: ودَبّابتِي.

الشّاب: نُرْجِعُهَا تركْتُوراً.

السيّاف: وطائرتِي.

---

(1) ياسين فاعور، السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص84.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص84، 85.

الشّاب: نرَشّ بهَا المُبيدَاتْ.

السيّاف: وأَمْرِيكِي.

الشّاب: نَنْكِحُهُ سوِيّة[1].

حاول "إيميل" في مسرحية "لكع" الإجابة عن الكثير من الأسئلة التي أثقلت ضميره والكثير من ضمائر الثوريين. ولا ننسى ذكر روايته "أُخطية" المعبّرة عن ظلم الجلاّد وقهر الضحيّة[2]؛ فقوّة الرّوح النضالية لـــ "إيميل حبيبي" مَثُلت في أعماله النثرية الممتزجة بالسّخرية، وهي حقاً صارخة في وجه العدوّ رغم شدّة السّيطرة الصهيونية.

وفي سوريا، تُطالعنا أسماء كبيرة في ميدان الأدب السّاخر عامّة، والقصصي خاصّة، مثل القاص "خطيب بدلة" في كتابه "السّاخرون" الّذي يسوق فيه مجموعة من القصص السّاخرة لكتّاب من أجيال متعاقبة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، "أديب نحوي"، و"حبيب كيلاني"، ...الخ. وقد صدّر الكتاب باثنتي عشرة ملاحظة هامّة تتعلق بالقصّة السّاخرة بسوريا مؤرّخا، بذلك، لظهورها، ومن مجموعاته القصصية: "امرأة تكسر الظهر"، و"وقت لطلاق الزوجة"،[3] الّتي سنذكر منها قصة " البرنامج"، حيث يسخر فيها الكاتب من نفسه؛ فقد اعتاد الهروب من البيت ساعة تقديم برنامج تلفزيوني يكرهه أشدّ الكره فيحين تتابعه أسرته بكلّ شغف وإمعان؛ فأوحى عليه ذكاؤه أن يُلهيهم عنه، ذلك بالإعداد

(1) ياسين فاعور،السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص87، 88.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص88، 89.
(3) ينظر: عادل الفريحات، الأدب الساخر والضاحك، ص190، 191.

لترهة في الطبيعة؛ فتكلّف مصاريف الأكل بكلّ أنواعه بل كمالياته، ليأتي حين الجلوس إلى مائدة الطعام إلى استقبال سؤال الوالدة: هل سمعت عن برنامج كذا؟ فيجيبها بكلّ خبث في إنكار، فتبدأ الأم في سرد بطاقة تعريفية طويلة عريضة لهذا البرنامج، فتُلمّ بكلّ عناصره بل وأدقّ تفاصيله، ليذهب كلّ مجهوده هباءً منثوراً، فالوالدة كانت النّائب الرّسمي لهذا البرنامج تقوم مقامه في غيابه[1]؛ فالسّخرية، هنا، تجلّت من خلال التهكّم على الذات الرّاوية التي أُحبطت خططها الذكيّة على يد الوالدة.

من خلال ما تقدّم، يتّضح أنّ للسّخرية بصمتها في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي رغم امتزاجها بأغراض شعريّة كالهجاء، لتصل إلى أوج ازدهارها في العصر العبّاسي؛ فتصبح فنّاً قائماً بذاته، يكون بأساليبه لسان مقالٍ عن الواقع المعيش. و مع ظهور الاستعمار في الأقطار العربية، تفاقمت الأزمات وازدادت معاناة المواطن، ما دعا إلى حضور فنّ السخرية في الأدب العربي الحديث بقوّة. وهو ما يجعلنا نقول إنّ السخرية عند العرب هي وليدة الأزمة والتناقضات المُنافية لآمال المواطن العربي والمثقف بصفة خاصّة، حيث يأتي هذا الفنّ لإماطة اللّثام عن القضايا المتعفّنة والمشاكل المتأزّمة في المجتمع.

(1) ينظر: ياسين فاعور،السخرية في أدب إيميل حبيبي، ص192.

3. السخرية في الأدب الجزائري

يرى الكثير من الدّارسين أنّ ظهور فنّ السخرية بالجزائر مرتبط برواية "الحمار الذهبي"(*)، للأديب الأمازيغي "لوكيوس أبوليوس" من بينهم الكاتب " عامر مخلوف" الّذي يعدّها من البدايات الواضحة في هذا الاتجاه[1]، وهي «أوّل رواية قديمة وصلت إلينا كاملة»[2] مقارنة برواية "ستيريكون" الساخرة لـــ " غايوس بيترونيوس أربيتر" والتي وصلتنا ناقصة[3].

تُمثل رواية "لوكيوس" انتقاداً ساخراً للمجتمع الإغريقي آنذاك على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية؛ فهي «... ترسم لنا صورة رائعة عن العالم القديم، وتعرض علينا جرأة اللّصوص، ودناءة الرهبان، وقسوة السيد علي عبيدة (...) ونعيش متعةً أسمى حين نتلمّسها في رواية التحولات لأبوليوس....» [4]، كونها تعبيرا عن واقع عالم البشر وما يسوده من فساد وانحطاط. وبذلك، فهي تعدُّ الرواية الأولى التي عرفت في تاريخ الأدب الروائي لغة ساخرة من خلال تحول إنسان إلى حمار.

(*) تروي هذه الرواية مغامرات شاب يوناني يدعى "لوكيوس"، ارتحل من مدينة (كورنت) إلى مدينة (هيباتا) لأسباب عائلية، حيث نزل ضيفا على غني بخيل، فحذرته صديقة والدته من زوج هذا الأخير "بامغيلا"، لخطورة أعمالها السحرية، فاجتذبه الفضول لمعرفة هاته القوى السحرية ما دفعه للتقرب من خادمتها وفي إحدى الليالي ألح عليها الطلب في تمكينه من رؤية سيدتها وهي تمارس السحر، ففعلت فاستطاعا رؤية "بامغيلا" تدهن جسمها بمرهم لتتحول بذلك إلى بومة وطارت بعيدا، ازداد فضول الشاب ورغب في خوض التجربة فأصر على الخادمة أن تجلب له إحدى العلب ففعلت، لكنها أخطأت الاختيار، وبمجرد أن دهن جسمه لم يتحول إلى طائر وإنما إلى حمار فحزن على ذلك، أمّا حبيبته فوعدته بإ حضار إكليل من الورد صباح اليوم الموالي ليأكل منه فيعود إلى هيئته السابقة، ولسوء حضه في نفس الليلة هجمت جماعة من اللصوص على البيت فكان من ضمن مسروقاتها، لتبدأ بذلك رحلته في الألم والمعاناة، وبعد سلسلة من المغامرات التي عرف من خلالها ظلم البشرية ومكائدها، استطاع الرجوع إلى هيئته البشرية بفضل الآلهة، "إيزيس" فكرّس حياته للتعبّد والرهبانية عرفانا لها.

(1) ينظر: هل تراجع الأدب الساخر؟ ، من الموقع: www.annastonline.com

(2) لوكيوس أبوليوس: " الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية" ، ترجمة: أبو العبد دودو، الدار العربية للعلوم، ط1، أبريل 2001، الجزائر، ط2 أبريل 2004، الجزائر، ط3: لبنان 2004، بيروت ، ص6.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص6.

(4) المرجع نفسه، ص30.

أمّا في العصر الحديث فقد تعرضت الجزائر للاستعمار الأجنبي كغيرها من سائر الدول العربية. هذا العدوّ الغاشم الّذي فتك بالشّعب الجزائري كمرض خبيث بل هو أشدّ وطأة. «وإذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية حيث نقل إليها المطبعة والصحف والمجالس العلمية (...) فإنه في الجزائر كان عكس ذلك تمامًا، إذ لم يأت لينشر حضارة وإنّما جاء ليسلب أفكار الشعب ويُزوّر تاريخه ويحطّم كيانه ويستغل ثروته...» [1]؛ فلم يكتف هذا العدوّ باستتراف ثرواتها ومصادرة أراضيها بل شرع في هدم كلّ المصادر الثقافية كالدّين واللّغة والتاريخ؛ فهو استعمار وحشي بكلّ ما للكلمة من معنى، سخّر قواته كلّها ظاهرية كانت أو باطنية للقضاء على هوية الشعب الجزائري بل اقتلاع جذوره من أرضة الوطن[2].«كما ابتدأ في حرب نفسية خبيثة ترمي إلى بثّ الفرقة والشّك في القيم والمستقبل وفي الإنسان العربي أينما كان، أصبحت الجزائر بفضل هذا الجهاز اللاّإنساني مجموعة مقاطعات تكاد تكون منفصلة تجارةً وفكرًا وإحساسًا...» [3]؛ فتضاعفت، بذلك، هموم الجزائريين وتزايدت معاناتهم وسط مجتمع يسوده القهر والإذلال بين مخالب وحشٍ استعماريّ شرس؛ فكان لهذا الواقع آثاره السلبية على الأدب الجزائري خاصة ما خلفه من معاناة المثقفين الجزائريين من حصار ونفي واغتيال آنذاك. وفي خِضّمّ هذه الأوضاع العنيفة الّتي لا تعرف استقراراً كان لفنّ السّخرية حضورًا لافتاً في الأدب الجزائري في هذه الفترة،

(1) أبو القاسم سعد الله: " دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، دار الرائد للكتاب، ط5، 2007م، ص22.
(2) ينظر: العربي الزبيري :" المثقفون الجزائريون والثورة"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،د.ط ، نوفمبر 1986م، ص8.
(3) المرجع نفسه، ص113.

حيث كان محطّ اهتمام الجزائريين عامة والمثقفين بخاصة، كرجال الدين والسياسة والاجتماع والثقافة، الّذين احتكّوا بهذا الواقع وما يؤزّمه من ظلم واضطهاد، فاتّخذوا من هذا الفنّ سلاحهم يذودون به عن أبناء شعبهم، وعن آرائهم ومواقفهم الثائرة في وجه مستعمرٍ مُدمّر لا يعرف مصطلح الرّحمة ولا الإنسانية[1]؛ فقد حمل هذا الأدب المُميّز غضبهم واحتجاجاتهم وثورتهم على الأوضاع المتعفّنة والأنظمة المستبدّة، وقد قلّ حضور السّخرية في الشّعر نظرًا لِما اكتنف الأدب من جمود وركود شكلا ومضمونا، ضف لذلك بساطة التفكير ما انعكس على اللّغة المستعملة كمّاً وكيفً وعلى الأسلوب المعالج للقضايا ومضامينها، وممّا كُتب في هذه الفترة، نذكر بيتين للشاعر " محمد المولود بن الموهوب" في وصفه التخلّف الديني والخُلقي للشعب الجزائري:

لِأنّا لِلْمَعارِفِ مَا هُدينَـــــا ‹ Š صُعُودُ الأَسْفَلِينَ بـــــــهِ دُهنيَا

أُناساً للخُمورِ مُلازِمينـــــاَ ‹ Š رَمَتْ أَمْوَاجُ البَحْرِ اللّهو منّا[2]

وعليه، يُمكننا القول إنّ السّخرية، وسط هذه الأوضاع المتردّية والقاسية الّتي أثقلت كاهل الجزائريين وعرقلت إبداعاتهم، لم تزد عن كونها محاولات بسيطة ساذجة؛ فقد عمدت إلى الأسلوب التقريري المباشر، ما منعها من خلق جوّ من التأثير والتفاعل بالنسبة للقارئ. وفي حقيقة الأمر، إنّ تطوّر هذا الفنّ وازدهاره مرتبط بميلاد الحركة الإصلاحية في الجزائر (سنة 1925م)، حين بدأت معالم التجديد في الأدب الجزائري الحديث، ما سمح

(1) ينظر: بوحجام محمد ناصر، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص9.
(2) المرجع نفسه، ص79.

لأسلوب السّخرية بالنمو والتطور مع مرور السنين، وذلك بتطور الظروف والمواقف المحيطة بهذا اللّون التّعبيري المميّز؛ فأمام عاصفة الحملات الفرنسية الشنيعة الهادفة إلى الفتك بمقوّمات الهوية الوطنية، كان لا بدّ للمثقف من إيجاد طرق حديثة تُمكّنه من المقاومة، دون لفت نظر العدوّ؛ فلم يجد له من وسيلة سوى السخرية المباشرة في المواجهة؛ فيكون، بذلك، متحايلا على الرقابة، ما يمكّنه من إيقاظ النّاس من غفوتهم ولا مبالاتهم ويعيد لهم إنسانيتهم وكرامتهم ووعيهم، ويعطيهم الحقّ في تنفّس الحريّة والنّقد، دون التّعرّض إلى التّهديد والمُساءلة[1].

نُلاحظ تجلّي هذا الأسلوب فيما قاله الكاتب الجزائري "أبو اليقظان" عن زيارة الحكومة الفرنسية للمطبعة العربية الّتي أسّسها؛ «ففي الساعة 7 و 15 صباح السبت 07 مارس، شرّفتنا اللجنة بلباسها الرسمي، حاملة إذن والي الولاية العامة المحترم بتفتيش محلّ الطباعة، ففتشوه رعاهم الله بكل دقّة ولطف، وتتبعوا مكتبه ورفوفه وملفّات المعاملات ودواليب الماكنات(...) وغير ذلك، ثمّ دعونا بسلام من غير أن يبدوا سببا لهذا غير أنّنا فهمنا بعد إكمال التدقيق، أنّ المراد من هذا التفتيش إنّما هو مجرّد التدشين، فشكرناهم على ذلك شكرا جزيلا، كما شكرنا لديمقراطية القرن العشرين التي بلغت بحُرمة المترل والحرية والشخصية إلى هذه الدرجة العالية»[2]. نستشفّ من خلال هذا المقطع نقداً لاذعاً للحكومة

(1) ينظر محمد ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري ، ص79-83.
(2) المرجع نفسه ، ص224.

الفرنسية؛ فهو "ذم في صيغة المدح"، ظاهره ثناء وشكر، وباطنه سخرية وتهكم مرير بهؤلاء ما يُفصح عن حالة غضب واستنكار لما فعلوه.

كما لا يخفى علينا، في هذه الفترة، تناول الأدب الجزائري السّاخر لمواضيع دينية واجتماعية وكذا ثقافية استنبطها من الواقع الجزائري المرير؛ فصار هذا الفنّ دواءً ناجعاً في معالجة التّعصّب الديني والتّخلف الفكري وكلّ ما من شأنه الخروج عن النظام المألوف للحياة[1]. نذكر على سبيل المثال مقولة "الشيخ البشير الإبراهيمي" في شأن "عبد الحي الكتاني" أحد الشيوخ المُقربين من السلطات الاستعمارية: «وإذا أنصفنا الرّجل، قلنا إنّه مجموعة من العناصر منها العلم ومنها الظلم، ومنها الحق ومنها الباطل، وأكثرها الشر والفساد في الأرض..... وإنّ اسم صاحبنا لم يصدق فيه إلا جزؤُه الأوّل، فهو عبد لعدّة أشياء جاءت بها الآثار وجرت على ألسنة النّاس، ولكن أملكها به الاستعمار، أمّا جزءه الثاني فليس هو من أسماء الله الحسنى، ولا يخطر هذا ببال أحد مؤمن يعرف الرّجل، ويعرف صفات عبد الرحمن المذكورة في خواتيم صورة الفرقان، وإنّما هو بمعنى القبيلة،كمايقال كاهن الحي وعراف...» [2]. جمع "الإبراهيمي" في هذا الرجل صفات متناقضة لا يصحّ اجتماعيا من علم وظلم، حق وباطل، لما يشوب شخصيته من تناقضات، كما جعل اسمه موضع سخرية وتعريض بما يقوم به من خدمة الاستعمار وتأييد لمصالحه.

(1) ينظر المرجع السابق، ص85.
(2) محمد البشير الإبراهيمي: " عيون البصائر"، ج3، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1997م، ص540.

ومن بين الأعمال الّتي نلمس فيها روح السخرية، بعض حكايات "محمد العابد الجيلالي" (1890-1967م) الّتي كان ينشرها بمجلة "الشهاب"، نذكر منها: "في القطار" جانفي 1936م، والتي تمثل لقاء البطل الجزائري بزوجين أوربيين بقطار مُنطلق من "مارسيليا" إلى "باريس"، هذا اللقاء خلق انسجاما بينهم، ما جعل الأوروبي وزوجته يعقدان لقاءً آخر مع البطل في أحد مقاهي باريس دون تحديد مكانه؛ فكتب "الجلالي" عن هذا اللقاء حكايته (بعد الملاقاة) فبراير 1936م، حيث وصف ذاك اللقاء بالصّمت الذي ساده؛ فالأروبي منشغل بكتابة مذكراته، وزوجته منهمكة في مطالعة رواية، ويبقى البطل منشغلا في الفراغ يحدّق في أفق التيه؛ فيشتغل الكاتب على هذه النقطة لعقد مقارنة بين بطله وصاحبيه الأوروبيين[1]، «كي يُدين وضعا انتهى بالإنسان العربي ... من زهدٍ في القراءة والكتابة ثمّ إدانة واقع المرأة عندنا، فالمرأة الأوروبية قارئة ومنتجة، ونظيرتها في (...) الجزائر جاهلة، ومنتجة جحافل من بنين وبنات يغرقون جميعا في جهل أب وأم، يكفيهما عدد يتضاعف عن نوعية فيه»[2]. ومن ثَمّ، نلاحظ تجلّي السخرية من خلال المفارقات بين الواقع الجزائري والأوروبي؛ فيشبّه المرأة في واقعنا بالآلة المنتجة للأطفال، «وهكذا تبدو الظلال الإنسانية المطبوعة بالسخرية والتهكم والمرح(...) سمة في كتابة "الجيلالي" ذات النزوع الاجتماعي والإصلاحي (...) وإن بدت نزعة القصّ مستحكمة في كتاباته....» [3].

(1) ينظر: عمر بن قينة: " في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا.. وأنواعا... وأعلاما..."، ديوان المطبوعات الجامعية،ط، 05-1995م، الجزائر، ص168.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص168.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص168.

ومن أبرز الأدباء الّذين برزوا في فنّ السخرية وتألقوا فيه الكاتب "أحمد رضا حوحو" الذي أبهرنا بأسلوبه الساخر، فقد جعل من المجتمع مداداً لكلماته، انطلق يعالج مشاكله وتطلعاته من خلال العديد من أعماله، كالقصة والرواية وكذا المسرحية، والتي «كان لها دور كبير في ظهور حركة أدبية جزائرية باللغة العربية بعد الاستقلال»[1].

وقد وفّق "حوحو"، إلى حد كبير، في تصوير حياة المجتمع بمختلف قضاياه الهامّة في عصره، واستطاع أن يكشف عيوبها ومساوئها، وينتقدها بأسلوب ساخر وجرأة قويّة، فقدّم لنا كتابه "مع حمار الحكيم" متأثرا في ذلك بالكاتب المصري الكبير "توفيق الحكيم" في كتابه "حماري قال لي" حيث «يُجري حوحو الحوار في هذا الكتاب مع "حمار الحكيم" الذي يتخيله زائرا متجولا في الجزائر، ويجعله مفكّرا فيلسوفا....»[2].

يُعدُّ المؤلّف مجموعة من المقالات النقدية في الأدب والسياسة والاجتماع أجراها الكاتب وأجاب بها على لسان حمار فيلسوف، هي طريقة لجأ إليها العديد من الكتّاب حين يشتدّ الظّلم والقهر فيخشى المفكر على نفسه إذا ما صرّح برأيه، أُغرم النّاس بهته المقالات التي نشرها الكاتب في البصائر التابعة لجمعية العلماء المسلمين، كونها تعالج قضايا هامة يعيشها النّاس بأسلوب طريف وحسّ خفيف تنجذب إليه نفوس القراء انجذاباً.

(1) مشتوب سامية: "السخرية تجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة"، ص23.
(2) محمد الصالح رمضان: " الموسوعة التاريخية للشباب شهيد الكلمة رضا حوحو"، إشراف: حسين بروبة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث،د.ط ،د.ت، الجزائر، ص24.

نذكر منها مقال "الزواج" الذي عالج فيه "حوحو" زواج المثقفين الجزائريين بالأجنبيات والعزوف عن الاقتران بالجزائريات وهذه مشكلة كبيرة تفشّت في الواقع الجزائري آنذاك، فنجد "حوحو" يقول للحمار مخاطباً: «... إنّ الشّائع في هذه الأيّام هو زواج المثقفين بالأجنبيات، وأي مانع أن يتزوج حمارنا المثقف بأتان أجنبية تليق بمقامه المحترم»[1].

من ذلك قول "الأمين العمودي" فيمن تزوج بأجنبية: «حيُّوا الحكيم ولا تنسوا قرينته هو سليمان والمدام بلقيس ، له غلام أطال الله مدّته، تنازعت العرب فيه والفرنسيين، لا تعدّلوه إذا ما خان أمّته، فنصفه صالح والنصف موريس»[2].

يجد الكاتب في مطالعته لكتابات "رضا حوحو" أنّ أغلبها تكتسي لباس السخرية لتشمل حتى المواضيع الجادّة بل والحساسة، من خلال ما نستشفه من خلال قصّة "فتاة أحلامي" من مجموعته القصصية "صاحبة الوحي" التي موضوعها: «....العلاقات العاطفية بين الشباب والفتيات، ووطأة التقاليد والعادات عليها، وما ينجر عن ذلك من مآسي اجتماعية»[3]، حيث سخط "حوحو" على هذه التقاليد المتحجرة بل القاسية التي اعتبرت الحبّ من الطابوهات التي لا يجب الحديث عنها أو الخوض في تفاصيلها؛ فقدّمت له مفاهيم محدودة ناقصة انعكست سلبا على التركيبة النفسية للفرد، من ذلك الخجل، حيث عالج

---

(1) أحمد رضا حوحو: "مع حمار الحكيم"، الأعمال الكاملة-1-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص48.

(2) هل تراجع الأدب الساخر؟ www.annasr online.com

(3) أحمد رضا حوحو: " صاحبة الوحي وقصص أخرى"، تقديم: أحمد منور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ط، 1983م، ص11

الكاتب هذا الموضوع بكل خفّة ودعابة؛ إذ نجده يقول على لسان بطل القصة: «...جميع فتيات المدينة الجميلات منهن والد ميمات، أضربن عن مغازلتي وأبرمن اتفاقا بذلك»[1].

وهذا موقف ساخر من شاب يقف في طريق الفتيات ينتظر مغازلتهنّ له، ولا واحدة تأبه به كأنّه بضاعة كاسدة؛ فلا يستطيع القارئ أن يمنع نفسه من الضحك من هذا الموقف الساخر، حيث تشتدّ أوتار السخرية والتهكم لتصل إلى ذروتها حين يحاول الشاب التقرب من فتاة في أحد دور السينما ليكتشف في الأخير أنّها ليست سوى العانس "بولوني" العاملة بالحي الجامعي[2].

وقد أسدى لنا الكاتب خدمة جليلة حين قدّم لنا مجموعته القصصية (نماذج بشرية" التي تُعدُّ شريحة من المجتمع بمختلف شخوصه؛ فنجد الشيخ المتاجر بالدين يُقبل على الناس بسبحته وعمامته، ونجد النائب الذي يبتاع أصوات الناخبين وليس له من عمل سوى تحريك رأسه تأييداً لجميع القرارات، وفيها الفتاة المتأزّمة بكبت المجتمع ما يلوح بها في حبائل الشباب وغيرها من نماذج علاقتها وطيدة بأرض الواقع يُعايشُها الفرد ويصادفها في حياته[3]، ويقدمها لنا في طابع هزلي ساخر تستطيبه النفس وتستلطفه، ما يدفعنا إلى إعادة التفكير والإمعان في هذه القضايا المتفشية في المجتمع، لكي تستقيظ الضمائر من سُباتها العميق ويستفيق الفكر من غفوته وخموله؛ فيعي ما يدور من حوله ويدرك حقيقته.

(1) قصة فتاة أحلامي، المرجع نفسه، ص44.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص44.
(3) ينظر: أحمد رضا حوحو: "نماذج بشرية"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،ط، 2013م.

ولا ننسى أنّ أديبنا "حوحو" ذو براعة خاصّة في الشعر الهزلي الساخر، الفصيح منه أو الدارج، بحيث يقلب الشعر الجادّ الهادف إلى شعر عابث ساخر بكلّ احترافية، لكننا نتأسف لعدم نشر أيّ شيء من هذا النّوع نظراً لروح التحفّظ لديه آنذاك بين أوساط إصلاحية ينتسب إليها[1].

لكن، وبعد نهاية الثورة التحريرية بدأ الجزائريون في البناء والتشييد بالقضاء على مخلفات الاستعمار ومشاكله. لذلك، عرفت هذه الفترة انتشار الأدب «التبجيلي والاحتفائي الذي رفعه الأدباء (...) بتمجيد الثورة والثوار»[2]، حيث «أبدعوا أروع الأهازيج تخليدًا لعرس الحرية، وكتبوا أجمل الفصول في سجلّ معركة البناء والتعمير في ظلّ دولة الاستقلال الفتية»[3].

ونظرا لسلسة من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري في مختلف الميادين، ظهرت فيه العديد من المشاكل وانتشرت الآفات والأمراض الاجتماعية، حيث نجد استغلال الدين للأغراض الشخصية، وأصبحت وظيفته نشر الفساد والتخلف، كما صارت المرأة تتاجر بعرضها ضمانا للبقاء[4]. ليتحول ذلك الخطاب التبجيلي إلى خطاب نقدي رافض ثائر على الواقع المشبع بالظواهر السلبية؛ فعادت السخرية من جديد مع الكاتب الجزائري " أبو العيد دودو" في مجموعته القصصية "صور سلوكية" التي حاولت الكشف عن السلوكيات

(1) ينظر: محمد الصالح رمضان، رضا حوحو شهيد الكلمة، ص28.
(2) أومقران حكيم: " البحث عن الذات في الرواية الجزائرية الطاهر وطار أنموذجا" ، (ماجستير)، جامعة مولود معمري تيز وزي، 1999/1998م، ص7.
(3) محمد بن سمينة: " النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤشراتها –بداياتها-مراحلها"، مطبعة الكاهنة،د.ط، الجزائر، 2003م، ص96.
(4) ينظر: المرجع السابق ، ص7.

الاجتماعية التي شاعت في المجتمع الجزائري آنذاك، ونحن نعني السلوكات السلبية كالرشوة والمحسوبية والتعسّف[1]؛ فنذكر من مجموعته قصة "في المصلحة":«قد يخيل إليكم أني إنسان غير عادي ولذلك توصّلت إلى هذه الفلسفة الخاصّة، الواقع أنّي عادي جدًّا وليست لي مواهب خارقة لي موهبة واحدة أعتزّها وهي موهبة المصلحة، وبعبارة أخرى أنّي أعرف كما تقولون أنتم من أين تؤكل الكتف، واسمحوا لي أن أُدخل هذه العبارة في فلسفتي الذاتية»[2]. نلاحظ اتخاذ البطل من الظاهرة السلبية موهبة له والمتمثلة في التعامل مع الناس لأجل المصالح لا أكثر و لا أقل، ومن خلال هذا الخطاب قدّم لنا الكاتب المجتمع بتناقضاته ومفارقاته السّاخرة.

ومن بين الأدباء المعاصرين في ميدان الأدب الساخر هناك "السعيد بوطاجين"، الذي كتب عدّة مجموعات قصصية نذكر منها (وفاة الرّجل الميّت، و اللّعنة عليكم جميعا)، وله رواية "أعوذ باللّه"[3].

ونذكر " عز الدين جلاوجي" من خلال مجموعته القصصية (صهيل الحمار)، منها قصة " الأمير شهريار" ، و"حسين فيلالي" بمجموعته القصصية "ما يشبه الوحم"، منها قصة

(1) ينظر: سامية مشتوب،السخرية وتجلياتها في القصة الجزائرية، ص25.
(2) أبو العيد دودو: " صور سلوكية"، ج1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع،د.ط، الجزائر، 1993م، ص22.
(3) ينظر: إيمان طبشي: " النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين" (ماجستير)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010-2011، ص31.

(البئر رقم مائة، تكميم أفواه الأموات) [1]، ولا يفوتنا ذكر " محمد زتيلي" مع كتابه " عودة حمار الحكيم"[2].

وفي الأخير يمكننا القول إنّ للجزائر أعلام بارزة في الأدب الساخر، لهم تجاربهم القيّمة التي لا تقلّ عن نظيراتها في مختلف بلدان العالم، على الرّغم من قلّة الكتابات في هذا الفنّ في الآونة الأخيرة، حيث أصبح كُتابه يُعدون على الأصابع.

ومن خلال تطرّقنا إلى واقع فن السّخرية عند الشعوب الأوروبية والعربية وكذا الجزائرية، على وجه الخصوص، وجدنا أن جوهر هذا الأدب هو الألم الدفين، حيث إنّ الأدب الساخر الذي يسعى إلى الإصلاح وإبراز مشاكل الأمّة يتوهّج كلّما زادت عليه الضغوط، ويُفرز لنا إبداعاته كلّما هبّت المعاناة على شاطئه الإبداعي؛ فالإبداع فيه مقترن بالمعاناة، والساخرون ضحكوا من معاناتهم ليقفوا مع أمّتهم في وجه محنتها ويغيّروا واقعها للأفضل. وهذا ما صبا إليه كاتبنا الجزائري " أحمد رضا حوحو" من خلال أعماله التي سنتطرق إليها في الفصل الموالي.

(1) ينظر: مشتوب سامية، السخريةوتجلياتهافي القصةالجزائرية، ص2.
(2) ينظر: هل تراجع الأدب الساخر، www.annasr online.com.

الفصل الثاني:

السّخرية في

بعض أعمال "حوحو" السّاخرة

1. أحمد رضا حوحو أديباً

بذل "أحمد رضا حوحو" جهوداً جبّارة في سبيل تكوين شخصيته الأدبية؛ فقد كان مطالعاً للثقافة العربية الإسلامية، مُجهداً نفسه في الإلمام بخصائص الثقافة المعاصرة، خصوصا معالمها وآدابها المدوّنة باللّغة الفرنسية الّتي يتقنها إتقاناً جيّداً؛ فقد أسهمت الظروف الاجتماعية التي نشأ فيها، ومراحله الحياتية في تنويع مشاربه الثقافية، حيث تُعدّ فترة إقامته بالحجاز (1935-1945م) من أهمّ عوامل تكوينه الشخصي وأخصبها في إثراء فكره الأدبي[1].

كان كتابه "مع حمار الحكيم" عبارة عن مجموعة من المقالات القصصية. والمقال القصصي ما هو إلاّ صورة عن المقال الإصلاحي في مضمونه ووظيفته، هدفه الدعوة الإصلاحية وشرحها بأسلوب قصصي جذاب، حيث كان الاهتمام في كتابته مُنصبّاً على السّرد، واستمرّ حتّى الثورة وشهد تطوّراً في المضمون الّذي انصبّ على انتقاد المظاهر الاجتماعية المختلفة والتقاليد البالية الّتي تُعرقل تطوّر المجتمع؛ فتطوّر من حيث الأسلوب واللّغة؛ فكان للحوار هيمنة عليه[2]. وهذا الضرب من الأشكال الأدبيّة غالبا ما يبدأ بمقدّمة وعظية مع سردٍ للحوادث، تركّز على الفكرة وإبراز الهدف من كتابتها[3]وهذا ما نلحظه في هذا الكتيّب الطّريف حيث إنّ طريقته شبيهة بطريقة المقامة في الأدب العربي؛ فالبطلان لا يتغيّران في كلّ جلسة يتبادلان الحديث الّذي ينصبّ

(1) ينظر: حنان عبد الرحمن: " القصة الإصلاحية النّشأة والتطوّر"، منتدى المقالات الأدبية والمكتبة الأدبية المتكاملة، 26 نوفمبر 2011م، ساعة 07:30 Pm.
(2) ينظر: عبد الله الركيبي:" تطور النثر الجزائري الحديث 1830- 1974"، دار الكتاب العربي للطباعة والنّشر، الأعمال الكاملة، د.ط، د.ت، ص197، 198.
(3) ينظر: محمّد خان: " الأدب الإصلاحي في الجزائر؛ دراسة تحليلية لأدب حوحو"ج2، مجلة العلوم الإنسانية،قسم الأدب العربي،كلية الآداب والعلوم الإجتماعية ،جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 2، جوان، 2002 م، ص32.

في قوالب من المقالات النّقديّة في الأدب والسّياسة والاجتماع أجراها كاتبها وأجاب بها على لسان حمار فيلسوف ينظر إلى النّاس بمنظار واقعي[1].

ويُدرك كلّ دارس لآثار "حوحو" أنّ بين ثناياها موهبة أدبية لا تخلو من إبداع وتجديد، وتتميز برؤية فنّية متطورة إذا ما قيست بالوضع الثقافي حينذاك. وهو الأمر الذي جعله رائدا للقصّة الجزائرية وباعثها إلى الوجود، حيث يقول "عبد الله بن علي": «الحقيقة الأولى الّتي لا جدال فيها أنّ الكاتب أحمد رضا حوحو هو الرّائد الذي وضع اللبنة الأولى للقصّة العربية الحديثة في الجزائر، والحقيقة الثانية هو أنّه الكاتب الوحيد الذي تحمّل عبأها مدّة لا تقلّ عن عشر سنوات كاتبا وناقدا ومترجما...» [2]؛ فقد أهدى "حوحو" مجموعته القصصية الأولى (صاحبة الوحي) إلى الأديب إحساسا منه بقيمته وبدوره في تطوّر مجتمعه، حيث يقول: «إلى من يُفني نفسه في ملاذه الفكرية... ويعيش في متعة الحيرة والألم... إلى الأديب»[3]. وفي هذه المجموعة، عني "حوحو" عناية شديدة بمشاكل الحبّ وما ينجرّ عنها من عنت وعناء للأدباء والأبناء معاً. وخير مثال على ذلك قصة (صاحبة الوحي) و(فتاة أحلامي) و(خولة). إنّ التطرق لهذا الموضوع في فترة مبكرة ما بين أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، في بيئة محافظة كان الحبّ فيها محظوراً ومحرّما يُعدُّ ضرباً من التجديد بكلّ جرأة وشجاعةٍ.

أمّا مجموعته القصصية الثانية الموسومة "نماذج بشرية" فيعود الفضل في طبعها للأديب الكبير أستاذ أجيال النخبة الثقافية في دول المغرب العربي في المنتصف الثاني من القرن العشرين "أبو

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 32، 33.
(2) خرفي صالح: " صفحات من الجزائر"، نقلا عن: عامر مخلوف:" مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر"، دار الأمل للطباعة والنشر، ط2 مزيدة ومنقحة، المدينة الجديدة، تيزر وزو، ص47.
(3) أحمد رضا حوحو: "صاحبة الوحي وقصص أخرى". ص 08.

القاسم كرّو"، حيث أصدر له هذه المجموعة ضمن كتاب "البعث" الذي نشر في شهر ديسمبر عام 1955م. ويتّضح من هذه المجموعة براعة الأديب الفنّية وامتلاكه أدوات كتابة "القصة القصيرة"[1].

لقد حقّق حوحو نجاحا في الملاءمة بين دعوته النظرية وممارسته الإبداعية في هذه المجموعة، ذلك أنّها مستوحاة من الواقع الاجتماعي وملامحه. وفيها قال عن طريقته في رسم نماذجه: «... التجأت إلى المجتمع وانتزعت من مختلف طبقاته نماذج عشت مع بعضها وسمعت عن بعضها. نماذج حية أقدّمها للقارئ (...)؛ فيلمس أنبل نفس في أحقر شخصية، ويلمس الإيمان القوي في قلب الرّجل الضّال، والزيغ والإلحاد تحت عمامة رجل الشرع»[2]. وكثير من قصص "حوحو" يسير على هذا النّهج؛ أي إنّها تبدأ بمقدّمة منفصلة عن النّص القصصي، ثمّ يبدأ السّرد على لسان إحدى الشّخصيات الّتي تقوم بدوريْ السّارد والشخصية المحوريّة في الوقت نفسه. ونلاحظ طغيان الحوار على السّرد في بعض القصص، مثل قصة "فقاقيع الأدب" و" الشخصيات المرتجلة" من المجموعة نفسها. «ويمكن إرجاع ذلك إلى كونه كاتبا مسرحيا لا قصصيا فحسب... حيث بذل جهوداً جبّارة من أجل إرساء قواعد المسرح في الوسط الجزائري»[3]؛ فلا مسرح بدون حوار ولا حوار بدون مسرح، حيث يكون الصّراع وقود تحريك الأحداث.

لقد بدا "حوحو" في جُلّ كتاباته مُلمّاً بثقافة واسعة، حيث كان للثقافة الفرنسية أثر في أدبه، خاصّة ما كان منها في عصر النهضة،؛ فقد تأثّر ببعض الكتّاب الفرنسيين، نذكر منهم:

---

(1) ينظر: جريدة صوت الأحرار: " أحمد رضا حوحو و عبد المجيد الشافعي"ج2، من الموقع: www.sawt-alahrar.net/ara/archive-pdf-2015
(2) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص09، 10.
(3) حنان عبد الرحمن،القصة الإصلاحية النشأة والتطور.

"هيجو"، حيث صرّح، بذلك، في مقدّمة قصّة (الفقراء)؛ إذ يقول:«قرأت "الفقراء" لهيجو وكانت نفسه البائسة تطالعني من بين السطور، تقطر حيرةً وألماً، وما هي فترة حتّى اختلطت حيرتي بحيرته وآلامه بآلامي؛ فأسرعت إلى يراعتي أكتب عن الفقراء بالعربية كما كتب عنهم هيجو بالفرنسية....» [1]. وقد تأثّر تأثّراً شديداً بكتاب (الطبائع) لـــ "لابروبير"، ما دفعه إلى إنجاز مجموعته (نماذج بشرية) [2]؛ فكلاهما يدور حول نماذج بشرية شاذّة يُجسّد من خلالها الفساد الاجتماعي، وكلاهما يعلّق أسلوبه بطبقة سميكة من السخرية اللاّذعة. وقد صدّر "حوحو" هذه المجموعة بمقولة لهذا الكاتب والّتي تقول: «يجب أن نتكلّم كلاماً صادقاً، وأن نفكّر تفكيراً صائباً، دون أن نحاول جلب الآخرين إلى أذواقنا وعواطفنا... إنّ ذلك لهو العمل الجليل...» [3]. كما صدّر " قصة (غادة أمّ القرى) بقول "لأندري جيد"[4]. بينما تأثّر في صوغ مضامينه وأفكاره بالكاتب المسرحي الفرنسي "موليير". وفيما يلي، سنأتي على ذكر بعض آراء كتّابنا في حوحو وأدبه، حيث يقول عنه أحد أصدقائه المقرّبين"الشيخ المرحوم عبد الرحمن شيبان": «يمتاز أدب الأستاذ أحمد رضا حوحو بطابع الخفّة والصّدق، والانتقاد، فإنّك لا تكاد تقرأ له فصلا من فصوله، أو قصّة من قصصه، أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتّى يفاجئك بهذا الثالوث الجميل الحبيب (...) ولا تظن أنّ كاتبنا يتكلّف هذه الخصائص تكلفاً(...)فإنّ رضا حوحو في أدبه هو نفس رضا حوحو في حياته من غير ما تعديل، أو روتوش!»[5]. وقد وردت هذه الفقرة في المقدّمة التي قدم له بها كتابه "مع حمار الحكيم" وهي تدلّ على ثقته الكبيرة في صديقه.

---

(1) أحمد رضا حوحو، صاحبة الوحي وقصص أخرى، ص89.
(2) ينظر: محمد خان،الأدب الإصلاحي في الجزائر، ص35.
(3) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص7
(4) محمد خان، الأدب الإصلاحي في الجزائر، ص35.
(5) أحمد رضا حوحو، مع حمار الحكيم، ص08.

و يرى "أبو القاسم سعد الله" أن في «... أدب حوحو ظاهرتان هامتان: الأولى السخرية والثانية براعة الحوار؛ فالسخرية ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتّى الجادّ منها(...) وليس غريبا أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري، تسوده تقاليد معينة في المرأة ورجال الدين (...) وتحكمه سياسة معيّنة قائمة على العنف والإرهاب في كلّ شيء، وعندي حوحو لو امتهن الرّسم لكان أبرع الرسّامين في فنّ "الكاريكاتير" بالذّات... »[1]؛ فقد اعتمد "حوحو" في تقديم شخصياته وعرضها طريقة الرّسم السّاخر، حيث يرسم الخطوط البارزة والعامّة كالأكتاف والوجه والقامة ثم ينتقل إلى الميزات الدقيقة كعادته وطبعه ليصل إلى أفكاره وآرائه[2]. أمّا ظاهرة الحوار فقد طغت على أعماله الأدبية بمختلف أنواعها، نلمس فيه خفّة وسرعة، جدّة ونكتة تستسيغه الأذن وترتاح له النّفوس[3]. وتقول عنه "عايدة أديب بامية" :« الكاتب الوحيد الّذي أبدى اهتماما بالطبيعة البشرية ودرس مقاصدها وتصرفاتها»[4].

ويلاحظ "أحمد منور" تجلّي الطّابع الأخلاقي عند حوحو بوضوح من خلال نهايات مسرحياته، حيث نجد الغلبة للخير على الشّر دائماً[5]: «وللوصول إلى هدفه من المسرح، وهو التسلية والتربية الخلقية (....) كان حوحو يراعي السهولة والبساطة في التعبير حين يكتب بالفصحى، كما كان يكتب بلغة مهذّبة قريبة من الفصحى حين يكتب بالعامّية حتّى يُقرّب من الهوة الّتي كانت تفصل بين هذه وتلك»[6].

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص92، 93.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص93.
(3) المرجع نفسه، ص94.
(4) حنان عبد الرحمن، القصة الإصلاحية النشأة والتطور.
(5) ينظر: محمد الصالح رمضان، رضا حوحو شهيد الكلمة، ص70.
(6) المرجع نفسه، ص71.

أمّا "عبد الله الركيبي" فيرى أنّ مسرحيّات "حوحو" ذات علاقة وطيدة بالمجتمع، يُعنى فيما يكتبه بالموضوعات التي تتّصل به. ويتجلّى ذلك في مسرحياته القصيرة أو المقتبسة من مسرحيات فرنسية؛ ففي إحدى مسرحياته، مثلا، يعالج موضوعا اجتماعيا، وهو زواج ابنة إحدى الشخصيات المرموقة مع أديب فقير؛ فتبدو السخرية صارخة ومبكرة عند "حوحو" الّذي طالما سخر من أصحاب المال والجاه [1]. وقد «نكّت على وضع الأدباء ونظرة النّاس إليهم، ويظهر هذا جليّا في مسرحية (الوهم) (...) وكذلك في مسرحية (أدباء المظهر) التي يتحدّى فيها أولئك الذين يتشبّهون بالأدباء في المظهر دون أن تكون لهم مواهبهم ومواقفهم»[2].

ويقول " الشيخ حمزة بوكوشة" مبديا رأيه في كتاب "صاحبة الوحي وقصص أخرى" لحوحو: «تسع من القصص الطريفة الوجيزة للأستاذ أحمد رضا حوحو (...) تلوت تلك القصص قصة قصة؛ فأعجبت ببعضها غاية الإعجاب وأحسست كأنّي أعيش مع أصحابها وأنا أحد أبطالها، ومع ذلك لا أشارك الأستاذ حوحو في حكمه على قصصه؛ فهو قدّم، مثلا، قصة (صاحبة الوحي) على غيرها وجعلها عنوانا لمجموعتة القصصية وما (صاحبة الوحي) بالنسبة لقصة (أدباء المظهر) أو لقصة (ثري الحرب) أو لقصة (خولة) إلاّ في الدّرجة الثانية»[3]. ويرى الكاتب أنّ شفيع "حوحو" في تقديم هذه القصة على سائر القصص أنّها أوّل ما خطّه قلمه من هذه المجموعة. ويضيف قائلا: «وشفيعي أنا في تأثري بتلك القصص الأخرى أنّها صادفت هوًى في فؤادي لأنّي شاهدت صوراً منها في واقع الحياة»[4]. ويرى "السعيد بوطاجين" أنّه يجب التنبيه إلى أنّ كلّ ما

(1) ينظر: محمد الصالح رمضان ، رضا حوحو شهيد الكلمة ، ص72، 73.
(2) المرجع نفسه، ص73.
(3) المرجع نفسه، ص76، 77.
(4) المرجع نفسه، ص97.

ورد في مجموعة (نماذج بشرية) لحوحو لا ينتمي كلّه إلى فنّ القصة القصيرة، وما يميّزها من خصوصيات وتقنيات، حيث نجد قصّة (الأستاذ) فصلا من مسرحية، و(يحي الضيف و سيدي الحاج) هي مقالات قصصية، و(التلميذ) مقال توفيقي، و(فقاقيع الأدب والشخصيات المرتجلة) مقالات نقدية، أما المواد الأخرى من المجموعة فيتوفر أغلبها على تقنيات القصة المتعارف عليها عربيا وعالميا[1]. وقد عمد الكاتب، من خلال حكاياته القريبة من التقرير في حالات كثيرة، إلى الإشارة إلى ظواهر سلبية ميّزت محيطه في فترة ما؛ فنجد، مثلا، الانحرافات الأخلاقية من خلال قصة (عائشة) و(السكير) و الحيلة ما يتجسّد في قصة (العمّ نتيش) وظاهرة الجهل في قصة (سيدي الحاج)، وكذا الهذيان في قصة (الأستاذ)، ضف لذلك الغرور في قصة (فقاقيع الأدب)، وهي موضوعات تداولت بين الكتاب في كلّ زمان ومكان[2].

2. دراسة فنية لقصة " الشيخ رزق"

يحتكّ الأديب القصّاص احتكاكاً مباشراً بالحياة العامّة وبشتّى مستوياتها، حيث «يعيش بتجارب النّاس المتنوّعة، وظروفهم المتباينة (...) يجمعها ويرتّبها ويكوّن منها قطاعاً حياتيا، واسعاً أو ضيّقاً (...) حتّى يصل بقرّائه إلى غايةٍ يُريدها (...) تأييداً لعقيدة يؤمن بها أو إصلاحاً اجتماعيا يريده، أو قيماً أخلاقية يسعى لإبرازها»[3]. وهذا ما يتجسّد من مرامي عند كاتبنا.

(1) ينظر: أحمد رضا حوحو: "نماذج بشرية" تقديم :السعيد بوطاجين، كتاب الدوحة د.ط ،39، سبتمبر 2014م، ص24.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص20.
(3) كامل درويش، منعم الخوري طانيوس: " النصوص الأدبية وفقا للمنهاج الرسمي الجديد"، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت، ص27.

أولا: ملخّص القصّة

تدور أحداث القصّة حول "الشّيخ رزوق" المُشرف على عقد السّتين، تروج عنه شائعات كثيرة، أهمّها التّشكيك في تديّنه، يساعد فيها شابّاً على حرمان شقيقته من الميراث ويطلب مقابل ذلك مبلغ خمس مائة فرنك مكافأة على فعله المُشين[1].

ثانيا: الشخصيات

تقوم الشّخصية بدور أساس في تحريك أحداث القصّة، وهي «مجموعة من السّمات والخصائص والصّفات الفكريّة والسلوكية والوجدانيّة التي تخصّ فرداً بعينه وتميّزه عن غيره»[2]، حيث تحظى بشأن كبير في السّرد[3].

وتبرز لنا من خلال قصّة "الشّيخ رزوق" ثلاثة أنواع من الشخصيات:

أ. الشخصيّة المحوريّة: الشّيخ رزّوق.

ب. الشخصيّة المساعدة: الشّاب.

ج.الشخصيّة المعارضة: الزّوجة.

وقد اهتمّ "حوحو" كلّ الاهتمام بالشّخصيّة المحوريّة من خلال تناولها بالوصف والجرد الحيّ المتأنّي الّذي يقف عند كلّ كبيرة وصغيرة وكأنّه يصف شخصاً واقعيًّا، مُعتمداً في ذلك أسلوب الإيماء، وهو «فنّ يعتمد على الإشارات وتقاسيم الوجه وحركات اليد والجسد، والتّمثيل

(1) ينظر: أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص11 وما بعدها.
(2) نجيّة طهاري: " بناء الشخصيّة في مسرح أحمد رضا حوحو"، قسم اللّغة العربيّة وآدابها (ماجستير)، 2011/2010م، ص82.
(3) ينظر: سيدي محمّد بن مالك: " السرد والمصطلح؛ عشر قراءات في المصطلح السّردي وترجمته"، دار ميم للنّشر، الجزائر، ط.1، 2015، ص19.

وهو إلقاء المعنى في النّفس بخفاء وسرعة»[1]، وهو ما نلحظه من خلال هذا المقطع السّردي: «... رمقها بنظرة حادّة وأجابها والغضب بادٍ على قسمات وجهه...» [2]. ونجده، أيضا، يقول في وصف الشّيخ عند استلام الرّزمة من المال: «أخفاها هذا في لمح البصر تحت جبّته وهو يتحدّث وللشّيخ قدرة عجيبة على القيام بمهمّة الحساب والمحادثة في آن واحد»[3]. وقد تناوله بالوصف الخارجي قائلاً: «الشّيخ رزّوق رجل في العقد السّادس من عمره، ضخم الجثّة، كثيف اللّحية، أسمر اللّون»[4].

ويليه الوصف الدّاخلي: «ذو مهابة ووقار يخشاه النّاس ويحترمونه»[5]. وقد عرض الكاتب بعض صفاته الأخرى عن طريق الخطاب المروي: «ويهتمّ هذا النّوع بنقل المضمون دون تحديد العلامات الخاصّة بالمتلفّظ....» [6]، يلجأ إليه الكاتب حين يريد تصوير أحاديث النّاس حول قصّة معيّنة، وهو ما يتّضح من خلال هذا المقطع: «تدور حول سيرته شبهات لم يصدّقها إلاّ نفر قليل، حيث يتّهمونه بالقيام بأعمال مالية غير مشروعة ويقولون إنّ في استطاعته أن يحرم الابن من إرث أبيه...» [7].

وإذا انتقلنا إلى الشّخصيّة المساعدة؛ أي الشّاب، نجد الكاتب لا يركّز على ملامحه الخارجيّة بقوله: «شابّ في ربيع العمر...» [8]. أمّا ملامحه النّفسيّة فنلحظها من خلال هذا المقطع:

---

(1) ترجمة معنى كلمة إيماء ص1- www.almaany.com/ar/dict/ar-ar
(2) رضا حوحو، نماذج بشرية، ص11.
(3) المرجع نفسه، ص14.
(4) المرجع نفسه، ص11.
(5) المرجع نفسه، ص11.
(6) صالح مفقودة: "أبحاث في الرّواية العربيّة-1"، منشورات أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري،د.ط،د.ت، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، ص189.
(7) أحمد رضا حوحو،نماذج بشرية ،ص12
(8) المرجع نفسه، ص12.

«وسكت الشّاب فقد اختنق صوته من شدّة الاضطراب»[1]. وأيضا، عند وصف الكاتب للشّاب وهو يُحاول البَوحَ بالموضوع الّذي قصد فيه الشّيخ: «سكت الشّاب مليّا ثمّ تكلّم بصوت تشوبه رجفة»[2]، ما يكشف عن شخصيّة متوتّرة ومتردّدة يشوبها الاضطراب.

أمّا الشّخصيّة المعارضة؛ أي الزّوجة، فتتميّز بالتّذمّر، وهي تُعارض انشغال زوجها بمصالح النّاس وإهماله لأمور بيته. يبرز، ذلك، من خلال الحوار الّذي يعرض نقاشاً حادّاً بين الزّوجة والشّيخ حيث تحاول منعه من الخروج[3]؛ فيجيبها بحججه المتعدّدة والمقنعة. و نمثل، لذلك، بقول الشيخ مخاطبا زوجته: «... لا تُدخلي على نفسي الرّياء أيّتها المرأة، اتّقي الله أتريدين أن تضيّعي أجر عملي وأن تبدّلي ثوابي عقاباً بأحاديثك هذه»[4]. وسرعان ما تتأثّر الزّوجة السّاذجة لتسحب كلامها طالبة من الصّفح والمغفرة[5].

لقد صوّر حوار الشّيخ مع زوجته بنفاقه ودهائه في المراوغة وسرعة توظيف الحُجج الّتي تنقذه من المواقف الحرجة، كما عبّرت إجاباته القصيرة المركّزة على الشّاب عن احترافيته في النّصب والاحتيال والتّزوير[6].

(1) أحمد رضا حوحو،نماذج بشرية ، ص12
(2) المرجع نفسه، ص12
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص11
(4) المرجع نفسه ، ص11.
(5) ينظر: المرجع نفسه، ص12.
(6) ينظر : المرجع نفسه، ص14.

ثالثا: اللّغة

يتّخذ الأديب من اللّغة وسيلة للتّعبير عن خلجات نفسه وأفكاره؛ فهي: «... أشبه بالكائن الحيّ تخفي غمار تجارب متعدّدة من خلال الاستعمار ومكابدة الفنّان للتّعبير بها، وبذلك تخلق لنفسها دائما صيغاً جديدة ومناخاً جديداً (...) الأمر الّذي يعينها على البقاء والحياة...» [1].

ولغة "حوحو" مناسبة لعناصر القصّ الفنيّة من سرد وحوار ووصف؛ فالكاتب يركَن، في ذلك، إلى اللّغة الفصحى، ما لا يدعُ مجالاً للشّك في موهبته واقتداره على تصوير الأحداث والمواقف والشّخصيات، بأسلوب بسيط قريب ممّا يلهج به النّاس في أحاديثهم بعيداً عن الرّصانة والجزالة والألفاظ الغامضة.

رابعا: البيئة الزمكانية

- **المكان**: تدور أحداث القصّة في بيئة جزائرية مدنية غير أنّ ملامح هذه البيئة ضعيفة ومحدودة من خلال الشّارع الّذي يصل بين بيت "الشّيخ رزّوق" والمسجد؛ «فهو لا يعرف سوى داره، والمسجد، و الطريق بينهما» [2].
- **الزّمان**: لم يُفصح الكاتب بالزّمن الّذي جرت فيه أحداث القصّة واكتفى بذكر بعض العبارات الدّالة على الزّمن: (الصباح، يوميّا، عقب صلاة الصّبح) [3].

(1) عبد الله خليفة الركيبي: " القصة القصيرة"، دار الأدب، د.ط، 1980م، ص18.
(2) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص11.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص11.

خامسا: أساليب السّخرية

انطلاقاً ممّا سبق ذكره حول طبيعة الأسلوب السّاخر، سنحاول التعرّف إليه من خلال ما أفرزته الكتابة الإبداعية لدى "حوحو" في هذه القصّة. نذكر منها:

V معالجة الشيء الحقير كأنّه عظيم "الذّم بما يشبه المدح": مثل الاستهزاء "بالشّيخ رزّوق" عن طريق اسم "الشيخ"، وهي مفردة لا تدلّ على اسم علم الّذي يفيد: «... التّسمية قبل كلّ شيء»[1]، وإنّما هي اسم جنس «الّذي يكون وصفيا على وجه الخصوص»[2]، لصفات كالسّداد والرّشاد والاستقامة، وهي صفات لا تنطبق على البطل ولا تمتّ إليه بأيّ صلة، ما يدعو للسّخرية.

ومن ذلك، استخدام "حوحو" لفظ (سّي أو سيدي) للتّهكّم من الأشخاص الّذين يسخر منهم، حيث تدلّ هذه الألفاظ على الرّفعة والمكانة فيضمّنها الكاتب عكس معناها وقد وردت بكثرة في القصّة، من ذلك قولُ الشّاب وهو يحاور الشّيخ:« نفس المسألة الأولى يا سيدي...» [3].

وكذلك، في تهكّم القاصّ بشخصيّة "الشّيخ" عندما يصفه بالصّلاح من خلال قوله: «ببركة هذا الرّجل الصّالح الّذي يقضي جُلّ حياته في المسجد ما بين العبادة وإرشاد النّاس إلى ما فيه الخير والصّلاح..» [4]، وهو يقصد هذا الرّجل الطالح الّذي يُرشد النّاس إلى كلّ ما فيه شرّ وفساد.

---

(1) سيدي محمّد بن مالك، السردوالمصطلح، ص40.
(2) المرجع نفسه، ص40.
(3) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص12.
(4) المرجع نفسه، ص11.

V التصوير الكاريكاتوري: لم يرد هذا الأسلوب بكثرة، نجده في وصف " الشّيخ" «ضخم الجثّة؟، كثيف اللّحية..» [1].

V المفارقة: إنّ السّخريّة في القصّة تظهر من خلال المفارقة بين ملامح بطلها الخارجيّة وبين أعماله الّتي يقوم بها في الخفاء؛ إذ توحي هيئته وملابسه وكذا تصرّفاته بالتّقوى والورع، من ذلك حرصه على الأذكار اليومية و«... سجّادة الصلاة الّتي لا تفارقه في حلّه و ترحاله»[2]، وعصاه ومسبحته الّتي لا تبارحه غرضه إعطاء صورة عن رجل دين متفان في تديّنه وهو على عكس ذلك.

V ولا يقف عند هذا الحدّ بل يتبجّح أمام زوجته وكأنّه المحامي الّذي يترافع من أجل إعادة الحقوق إلى أهلها، مُشيداً في ذلك بإخلاصه في مهمّته الدّينية من خلال حواره معها قائلا: «....أتخالين زوجك مثل أولئك الغافلين الّذين ألهتهم أوضار المادّة الدّنسة عن أعمالهم الرّبانية وأشغلتهم بطونهم عن الآخرة؟... أنا أخدم النّاس لوجه الله، أخدم الحقّ الضّائع وأحاول جهدي إرجاعه إلى نصابه....» [3]. في حين، إنّه يعمل على حصد أموال النّاس حصداً وإحالتها إلى غير مُلاّكها، وهو يصرّح، بذلك، في حواره مع الشّاب من خلال هذا المقطع: «... فأنا في هذه الأيّام القريبة ملّكت زوجاً من ثروة زوجته بعمليّة بسيطة، ثمّ طلّقتها عليه، وهو اليوم ينعم بالمال والحريّة، ولكنّه دفع لي ضعف ما طلبت منك تقريباً»[4].

(1) أحمد رضا حوحو،نماذج بشرية ، ص11.
(2) المرجع نفسه، ص11
(3) المرجع نفسه ، ص11
(4) المرجع نفسه، ص14

هذا كلّه يعكس نفاقه مع زوجته والمجتمع، وهو ما يؤكّده المقطع الأخير الّذي يكشف السّتار عن صورته الباطنية الّتي تُنافي صورته الخارجيّة الخادعة والزّائفة، ويُبرز ماضي الشّيخ في ممارسة التّزوير والمُعاملات الرّشويّة.

وهناك مفارقة بين موقف الشّاب وموقف الشّيخ بعد إبرام الصّفقة، وهي كالتّالي: «نهض الشّاب متألّماً مضطرباً وبقي الشّيخ مسروراً يذكر الله ويوحّده»[1]؛ فالشّاب يتألّم ربّما لتأنيب ضميره، أمّا الشّيخ فقد بقي في غبطة وسرور، ما يدلّ على انعدام ضميره؛ فهو يذكر الله بلسانه لا بقلبه ما يدلّ على النّفاق والدّناءة.

ومن مفارقات هذا الشّيخ ما يرد في هذا المقطع: «وقام يستعدّ لصلاة الظّهر ويتذكّر ما بقي لديه من المعاملات ويُقدّرُ في نفس الوقت ما ستدِرُّ عليه من الأرباح»[2]؛ فلا صلة للشّيخ بالعبادة وهو مجرّد جثّة هامدة متجرّدة من روح الإيمان والخشوع تقف على الصّلاة والعقل والقلب يشتغلان بنسج الخطط والمكائد لمزيد من الأرباح.

ونجد مفارقة تنمّ عن تضارب في آراء الشّيخ، وذلك من خلال محاورته مع الشّاب الّذي سأله ما إذا كان لابن أخته الحقّ في إرثها إذا وافتها المنيّة؛ فيجيبه على الفور: «ما في ذلك شكّ يرثها حقّه يا بنيّ...» [3]. وعندما يُفصح له الشّاب عن رغبته في منع الابن من ميراثه، يجيبه قائلاً: «إنّك قادم على عمل خطير...» [4]. لكن سرعان ما ينقلب لصفّه مُعرضاً، بذلك، عن رأيه السّابق في قضيّة الإرث بعدما يُخبرُه الشّاب بأنّه مُستعدّ لدفع اللاّزم من أجل ذلك، ليكون ردّه

(1) أحمد رضا حوحو،نماذج بشرية ، ص14
(2) المرجع نفسه ص14.
(3) المرجع نفسه ، ص14
(4) المرجع نفسه، ص13

كالتّالي: «الحقيقة أنّ هذا الطّفل يُعدّ أجنبيّاً دخيلاً على أُسرتكم»[1]، ما يُبرز احتكامه إلى رأي نماذج بشرية المصالح لا إلى رأي الدّين الحنيف.

V التعريض: يخاطب الشّيخ الشّاب قائلا: «أرسل والدتك عند بعض الأقارب، وسآتي بجهازي التّام المكوّن من والدتك وأختك والشّهود المعروفين»[2]. يعرض الكاتب، هنا، بعصابة احتيالية وإجرامية زعيمها الشّيخ.

ومن ذلك، أيضا، ما يرد في هذا المقطع حول الشّيخ: «... وذهب يتأرجح في مشيته وهو في طريقه إلى ركنه المنعزل في المسجد الّذي يسمّيه مكتب أعماله الخيريّة» [3]. يعرض الكاتب، هنا، لمكتب أعماله الشّيطانيّة.

V ومنه ما يرد على لسان الرّاوي حول بطل القصّة: «فقد كان أُعجوبَة زمانه في اتّقاد الفكر وسعة العقل» [4]، ما يعكس شدّة خبثه ومكره وخطورة ذلك على مجتمعه، وكذا: « للمال سرّ عجيب في نفس الشّيخ» [5]؛ فهو كالعصا السّحريّة تجعله يقدم على المحرّمات جميعها أو كالكلمة السّرّيّة ينفذ بها إليه كلّ من أراد قضاء حوائجه مهما عظُمت حقارتها.

ويَمثُلُ هذا الأسلوب من خلال قول الشّيخ مخاطباً الشّاب: «إنّ أشغالي كثيرة يا ابني، وأجدني معذوراً إذا ما نسيتُ ما حدّثتني به سابقاً...» [6]، ما يعرض لكثرة صفقات الشّيخ الرّشوية والإجراميّة المتنوّعة.

---

(1) أحمد رضا حوحو،نماذج بشرية ، ص13.
(2) المرجع نفسه، ص14 .
(3) المرجع نفسه، ص12.
(4) المرجع نفسه ، ص14.
(5) المرجع نفسه، ص12.
(6) المرجع نفسه، ص12.

V التّناص: وهو مصطلح استحدثته النّاقدة البلغارية " جوليا كريستيفا"، وهو يتعلّق بالصّلات الّتي تربط نصّاً بآخر، وهو تقاطع نصّين إمّا مباشرةً أو ضمنيّاً [1]. وقد كان للتّناص الدّيني حضوراً في هذه القصّة، حيث تحوّل إلى آلية ساخرة بحيث يكون «استخداما حرفيّا جديداً للفقرة مطبّقة على سياق جديد». وهو ما نلاحظه في قول الشّيخ بعد الاتّفاق حول الصّفقة الرّشوية: «أحسنتَ إذ قَبلتَ، أحضر لي النّقود وافية فأنا دائما أستوفي أجري مقدّماً... ثمّ لا تنسى ما قاله الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"» [2]. نلاحظ تموضع الحديث في غير سياقه، ما أكسبه حُلّة دلالية جديدة، حيث جعل المشهد قمّة في السّخرية، ليُفصح عن تلاعب الشّيخ بالدّين واستخدامه لقضاء مصالحه.

لقد انتقد "حوحو" بسخريّته الأوضاع الاجتماعية والدّينية في الجزائر إبّان الاستعمار، حيث قام بدور المُصلح المُستنكر لمواقف الطّرقيّين الّذين ابتزّوا أموال الشّعب باسم الدّين، وهدفه من ذلك تنبيه المجتمع إلى خطورة هذه الفئة التي تتاجر بالدّين ليستيقظ النّاس من غفلتهم فيحاربوها بدل الخضوع لسيطرتها.

ونجد أنّ قصص "حوحو" كلها تتميّز بروح السّخرية والخفّة، حيث يكثر استعماله للفظة (سي أو سيدي) كما أشرنا سابقا. وهو ما نجده في قصّة (سيدي الحاج) و(سي زعرور) من

(1) ينظر: جوادي هنية: " التعدّد اللّغوي في رواية - فاجعة اللّيلة السّابعة بعد الألف للأعرج الواسيني- "، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، العدد:5، مارس 2009،م ص316.
(2) أحمد رضا حوحو،نماذج بشرية ، ص13.

مجموعته (نماذج بشرية) [1]، و"سي شعبان" في قصته (ثري الحرب) من مجموعته (صاحبة الوحي وقصص أخرى): «وما كادت الحرب تضع أوزارها حتّى وجد شعبان نفسه "سي شعبان"»[2].

وفي قصّة "سيدي الحاج" نجد مفارقة بين هيئة "الحاج" «بجثّته الضّخمة وعمامته الكبيرة، وقامته الفارعة الطّول، ولباسه الجزائري العتيق»[3]، وصاحبه النّحيف الجسم بلباسه الحجازي المختلف[4]، تشكّل هذه الصّورة منظراً "كاريكاتوريا" هو أقرب إلى الهزل والسّخرية منه إلى الجدّ.

ونلاحظ أسلوب المناداة بالألقاب (في قصة ثري الحرب) من ذلك قول الرّاوي: «وإذا سألته عن تاريخ ميلاده أجابك بسذاجة أنّه ولد في الرّيف في السّنة التي نزلت فيها المطر بالضفادع، ولهذا أسماه بعض العابثين من شبّان الحيّ تُؤم الضّفادع»[5]، ما يُثير في نفوسنا الضّحك؛ فقد نسجوا له اسماً يرتبط بإجابته الساذجة حول تاريخ ميلاده.

3. دراسة فنّية لمقال "الزّواج"

أولا: الملخص

هو مقال قصصي نجده بين صفحات الكتيّب الطّريف "مع حمار الحكيم"، يقوم موضوعه على ظاهرة زواج المثقّفين الجزائريين بالأجنبيات، وهي من ضمن القضايا الخطيرة الّتي تفشّت في المجتمع إبّان الاحتلال الفرنسي نظراً لعوامل كثيرة، حيث يطرح "أحمد رضا حوحو" هذا الموضوع بطريقة ساخرة بل لاذعة، نستشفّها خلال محاورته مع "حمار الحكيم" الّذي يعدّ حماراً فيلسوفاً ذا

(1) أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، ص49-57.
(2) أحمد رضا حوحو، صاحبة الوحي وقصص أخرى، ص55.
(3) أحمد رضا حوحو، المرجع السابق، ص49.
(4) المرجع نفسه، ص49.
(5) أحمد رضا حوحو، صاحبة الوحي وقصص أخرى، ص54.

حكمة ورجاحة عقل؛ فيأتيه في استشارة حول موضوع الزّواج ليجيبه أنّ رأيه من رأي "برنارد شو" في الزواج، الّذي يشبّهه بجمعيّة سرّيّة، الخارجُ عنها يجهلُ كلّ شيء، والمُنخرطُ فيها لا يستطيع البَوحَ عنها أيَ شيء. ثمّ ينصح هذا الحمار الذّكي بالزّواج من أتان أجنبية؛ فيتعجّب هذا الأخير من رأي صاحبه معارضاً له بناءً على مجموعة من الأُسُس والخلفيّات الدّينيّة والاجتماعيّة، ليؤول به الأمر في الأخير إلى نُصحه بصرف فِكرهِ عن الزّواج مخافة فقدان مكانته المرموقة في المجتمع بسبب تسلُّط الأنثى[1].

لقد اتّخذ الكاتب من يراعه سلاحاً يُجاهد به في سبيل تحرير بلاده من الاستعمار وآثاره البغيضة على مجتمعه، ومن بينها ظاهرة الزّواج بالأجنبيات كما أشرنا بداية. والكاتب لم يُعالج هذه الظاهرة من جانب تحسين النّسل ولا من جانب الظّروف الّتي دفعت إلى وجودها في المجتمع الجزائري وغيره، وإنّما تطرّق لمعالجتها كظاهرة اجتماعية لها خطورتها على مُقوّمات الشّخصيّة، وهو لا يُدين بهذا الزّواج من دُفع إليه دفعاً سواء لظروف الهجرة أو غيرها من الظّروف، لكنّ لومه وإدانته مُوجّهة بشكل خاصّ إلى فئة من النّاس دفعهم الإحساس بالنّقص في نفوسهم والحطِّ من قيمة بنات وطنهم إلى الهروع لهذا الزّواج المختلط، ظنّا منهم في تكملة نقائصهم.

و الكاتب يُعالج هذه الظّاهرة بطريقة تهكّميّة لاذعة تُبرز ما لهذا الزّواج من آثار سلبيّة على الوحدة الوطنيّة في المجتمع الجزائري، وما يُحدثه من تمزّق في الأسر المكوّنة له. أضف إلى ذلك ما يسبّبه من عنوسة للمرأة الجزائريّة، ما يلوح بها في دائرة الانحراف، حيث يقول "حوحو" على لسان حماره: «زواجي من أتان أجنبيّة تخالفني في الجنس والعادات والتّفكير فيه خطورة كبيرة على

(1) ينظر: أحمد رضا حوحو، مع حمار الحكيم، ص44 وما بعدها.

أخلاقي وعاداتي وتفكيري»[1]. ومتى كان للاستعمار كيان في الأسرة الجزائريّة أصبحت له جذور متفرّعة في الوطن بأسره، وموقف الكاتب من هذه المشكلة مُتأَتٍّ عن خلفيّة دينيّة إصلاحيّة قاعدتها الفكر الإسلامي العقائدي.

وممّا نلاحظه من خلال هذا المقال أنّ "حوحو" قد أرفق موضوعه الرّئيس، وهو "الزّواج بالأجنبيات" بموضوعات اجتماعية ونفسيّة، نذكر منها على سبيل المثال:

- ظاهرة التناقض عند المرأة وتذبذبها بين الرّغبة في السّيطرة على الرّجل والخضوع لسيطرته؛ «فهي تحبّ التّسلّط عليه (...) وفي نفس الوقت تكره الخاضع لسلطتها...» [2].
- ظاهرة الأنانيّة في الطّبيعة البشريّة والتّبرّم من الحياة من خلال قول "الحمار": «هذا عندكم (...) أنتم البشر (...) فقد تغلّبت عليكم الأنانيّة وحبّ الذّات، الرّجل والمرأة على السّواء فإنّك لا تجد في فصيلتنا من تحدّثه نفسه بأنّه أفضل من الحصان (.....) إنّك لا تجد.... من يتمنّى علفاً من القمح، ولا تجد من يلوم الدّهر ويتبرّمُ.. »[3].

وأشار، أيضا، إلى موضوع تعلّق الإنسان بالمادّيات واضطراب موقفه من الزّواج بصفة خاصّة؛ فالمتزوّج يرى فيه قدراً محتوماً، و الأعزب يبحث عن قدره، و كلاهُما يندُب حظه في الحياة[4]؛ فقد ارتأى الكاتب دمج هذه الموضوعات بموضوعه المحوري، كونه في خضمّ نهجه الإصلاحي. وتناولُه لهذه المشاكل ليس فيه من جديد يُذكر – لكنّ الجديد بحقّ - يكمن في طريقة

(1) أحمد رضا حوحو،مع حمارالحكيم، ص48.
(2) المرجع نفسه، ص49.
(3) المرجع نفسه، ص46.
(4 المرجع نفسه ،ص45

عرض الكاتب لأفكاره وتصويره لعيوب المجتمع؛ فهو ينفذُ إليها بنظرة ثاقبة، ويشير إلى ضرورة علاجها بطريقة تثير في النّفس التّهكم والسّخرية.

ثانيا: الشّخصيات

الشّخصيات المحورية:

- السارد (حوحو).
- الحمار.

حيث جعل "حوحو" لنفسه شخصيّة تقابله وتُحاوره، وهي الماثلة في حمار عليم يعرف كلّ شيءٍ؛ فتارة يُوافقه، وتارة يُناقضه. هذا التّناقض يخلق صراعاً وثورةً ضدّ قضايا اجتماعيّة ودينيّة. وتتميّز الشّخصيات بالثّبات؛ فلا تتغيّر من بداية المقال إلى آخره، يطغى على كلامهما الحوار المتبادل باستعمال الفعلين (قال، وقُلت).

ثالثا: اللّغة

تبدو لغة "حوحو"، في هذا المقال، سهلة بسيطة، ولا تتطلّب قاموسا لشرح مفرداته؛ فهو يعتمد عبارات واضحة تُلائم الموضوع والأفكار والقالب الفنّي والأغراض الّتي يهدف الكاتب إلى تحقيقها، ما يوحي باهتمام الكاتب بقرّائه؛ فهو يكتُبُ للجميع بمختلف مستوياتهم الثّقافية دونما تمييز، يُهديهم أدبه وفنّه ولا يبخل به عن أيّ أحد.

ويمتاز حوار "حوحو" بالسّرعة؛ فالجُمل الّتي يُجريها على لسان أحد المتكلّمين قصيرة الفواصل قليلة الكلمات، كما تراه في قوله:

«قال: جئت أستشيرك في أمرٍ مهمّ.

قلت: هل هو عمل جديد؟

قال: لا، لم أعثر حتّى الآن على عملٍ يُشرِّفُني»,[1].

و لم يعتمد الكاتب على صور بيانية كثيرة، كقوله: «تتّهمنا نحن البشر بالأنانيّة، وإذا بك غارق فيها إلى أذنيك»[2]، حيث نجد استعارة تدلّ على المُبالغة في الأنانيّة. ومن ألوان البديع، نجد الطّباق في قوله: «وأفرّق بين الخبيث منها والطيّب»[3]، والجناس في قوله: «لا تعرف الملل ولا الكلل»[4]، وهي مُحسِّنات غير مُتكلِّفة تزيد الأسلوب عذوبة وجمالاً.

رابعا: أساليب السّخرية

يشيع في أسلوب الكاتب أسلوب السّخرية الذي نستشفه، بداية، من خلال تحاوره مع الحمار الّذي يوصف، عادة، بالغباء؛ فجعله في صورة إنسانٍ عاقل ذي حكمة ودهاءٍ.

V التعريض: ومثال ذلك قول الكاتب: «... و أيّ مانع في أن يتزوّج حمارنا المثقّف بأتان أجنبيّة تليق بمقامه المحترم» [5]، حيث ينتقد الكاتب بسخريّته المثقّف الجزائري الّذي يجد رفعةً لشأنه في اقترانه بواحدة من بنات المُستعمر، ما يدلّ على قصور فكره وبلادة عقله.

ونلاحظ هذا الأسلوب في مخاطبة الحمار للكاتب قائلاً: «لم أعثر حتّى الآن على عمل يُشرِّفني»[1]، ما يعكس واقع البطالة الّتي تفشّت في المجتمع الجزائري؛ فلا يجد المواطن عملاً يعطيه

(1) أحمد رضا حوحو،مع حمار الحكيم ، ص45.
(2) المرجع نفسه ، ص47.
(3) المرجع نفسه، ص 37.
(4) المرجع نفسه، ص49.
(5) المرجع نفسه ، ص48.

اعتباراً واعتداداً بنفسه، ليؤول به الأمر إلى الزّواج بأجنبيّة وكأنّها تفتح له باب العمل، ما يُفصح عن أنانيّة وتعلّق بالمادّيات.

وكذا قول الحمار: «زواجي من أتان أجنبيّة تخالفني في الجنس والعادات والتّفكير، فيه خطورة كبيرة على أخلاقي وعاداتي وتفكيري»[2]. وهل للحمير أصل أو بلد كي تخاف من اختلاط الأجناس. يعرض الكاتب، هنا، عواقب الزّواج المختلط على الجزائري.

- المفارقة: يقول "حوحو" للحمار: «لو لم أعرفك حماراً، لقلت أنّك أتيت تستدين منّي بعض النّقود»[3]. وهل يحتاج حمارٌ إلى نقود؟ هذه المفارقة تثير الضّحك في نفوسنا، وفي الوقت نفسه، تُميط اللّثام عن ظاهرة الاقتراض في المجتمع آنذاك.
- السّخرية بالجمل: من خلال قول الكاتب: «الشّائع هذه الأيّام هو زواج المثقّفين بالأجنبيّات»[4]، حيث نجده يصف هذه الظّاهرة وكأنّها موضة تشيع في وقت ما.

ومن أساليب السّخريّة في مقالات "حوحو"، نجد في مقال (مع حمار الحكيم) اللامنطق، حيث تأثّر الكاتب بقراءته لكتاب "حماري قال لي" "لتوفيق الحكيم"، حيث غفا والكتاب على صدره ليتحوّل حُلمه إلى قصّة أحداثها طريفة مع الحمار المثقّف؛ فيجري بينهما حوار مثير عن المرأة والسّياسة والإقتصاد ليستيقظ ويجد أنّ

(1) أحمد رضا حوحو،مع حمار الحكيم ، ص45.
(2) المرجع نفسه ، ص48.
(3) المرجع نفسه ، ص44.
(4) المرجع نفسه، ص 48.

كلّ ما حصل كان تخيّلات طفت في ساحة اللاّشعور نتيجة لتراكمات اجتماعية لا صلة لها بالحقيقة[1].

v ونجد، أيضاً، التّصوير الكاريكاتوري: في وصف الكاتب للحمار قائلا: «... فافترت شفتاه الغليظتان...» [2]. وهناك، أيضاً، الأسلوب التعريضي، حيث يقول الحمار: «استدعيتُ خصّيصا لأُغنّي في الإذاعة الجزائريّة»[3]. يعرض الكاتب، هنا، لواقع الفنّ والفنّانين، وهذا ما يفضح المغنّيين الجزائريّين وغير الجزائريّين جميعهم الّذين يُقدمون على الغناء وأصواتهم تشبه أصوات الحمير المُنكرة لا تمتُّ للفنّ بأيّ صلة. والمستعمر كان يأمر بتلك الأغاني بُغية قتل الشّعور الحيّ في نفوس الجزائريين.من الأساليب نجد أيضًا:اللعب بالمعاني من خلال الإستعارة في قول الكاتب: «لدينا آلات للنّسل نحتفظ بها في بيوتنا»[4]؛ فهو يصوّر المرأة كآلة تنتج النّسل، ليسخر، بذلك، من واقعها المُتردّي في المجتمع، وينتقد بعنفٍ التقاليد الّتي تعوق هذا المجتمع وتُخلّفه عن ركب الحضارة؛ فـــ "حوحو" يريد أن تكون المرأة عضواً حيّاً تشارك الرّجل في مواقف الحياة كلها. هذا ما نستنتجه من خلال استعماله أسلوب النّفي حيث يقول: «... فلا وجود للمرأة في بلادنا»[5]؛ فهو ينفي ليثبت حقيقة؛ أي واقع المرأة المتأزم في المجتمع آنذاك.

(1) ينظر: أحمد رضا حوحو،مع حمار الحكيم ، ص12 إلى ص17.
(2) المرجع نفسه، ص12.
(3) المرجع نفسه، ص13.
(4) المرجع نفسه ، ص15.
(5) المرجع نفسه، ص15.

V الاستفهام: يتساءل "حوحو" من سؤال الحمار عن الدّين تساؤل مُتهكّم بقوله: «دين من؟»[1]، وهو استفهام إنكاري لا يتطلّب جواباً إنّما غرضه السّخرية من واقع الدّين في الجزائر إبّان الاستعمار.

وما يرفع من شدّة السّخرية جعل "حوحو" من الدّين الواحد أربعة أديان من خلال قوله: « دين الحكومة أم دين الشّعب، الدّين الرّسمي أم الدّين الحرّ؟»[2]، حيث نلاحظ تساؤلاً مكرّراً حول (الدّين)، ما يفصح عن حيرة الكاتب في إيجاد جواب عن سؤاله، نظرا لما آل إليه الدّين من فساد وتكرّر هذه اللفظة؛ أيّ (الدين)، يدلّ على أهمّية الموضوع بالنّسبة للكاتب.

V التناقض: ويتمّ فيه الجمع بين المتناقضين، بحيث يقول "حوحو": «... تعلم لتجهل»[3]، وقول الحمار: «وما وجه العجب؟ فإنّ صوتي جميل»[4]؛ فهو يصف صوته بالجمال مع أنّه مزعج.

ولا يستطيع القارئ منع نفسه من الضّحك على حمار يستعمل ساعة في رجله «... ثمّ ألقى نظرة خاطفة على ساعته الرّجليّة»[5]، ما يدلّ على أنّ سخريّة "حوحو" لم تخل من ضحك، لأنّ الطّابع الإنتقادي يأخذ حصّة الأسد إذا لم نقل إنه يسيطر على المقالات الواردة في كتابه "مع حمار الحكيم".

---

(1) أحمد رضا حوحو،مع حمار الحكيم ، ص15.
(2) المرجع نفسه، ص15.
(3) المرجع نفسه ، ص16.
(4) المرجع نفسه، ص13.
(5) المرجع نفسه، ص17.

لقد وجد "حوحو" في شخصيّة "الحمار" ذراعا واقية يصرّح من خلاله بآرائه السّياسيّة والإجتماعية والدّينية بكلّ جرأة ومباشرة. وهنا، قد يلاحظ القارئ تناقضاً؛ فيقول إنّ الأسلوب السّاخر غير مباشر؛ فكيف نورد كلمة مباشرة. في الحقيقة، إنّ السّخرية تتأتّى من خلال طرح الكاتب مسؤوليّة كلامه على عاتق الحمار الّذي يوكله مهمّة الإفصاح عن مواقفه؛ أي مواقف الكاتب. وهذا أسلوب غير مباشر لم يأت على لسان الكاتب مباشرة، إنّما المباشرة أتت على لسان الحمار؛ فقد تجد في المقال الواحد سخريّة اجتماعية وسياسية ودينيّة وحتّى ثقافية. وقد ظلّ نقد الكاتب لاذعاً رادعاً ما أكسبه الكثير من الأعداء والمعارضين.

الخاتمة

لقد وصل البحث إلى نهايته، ما يحيلنا إلى تسجيل بعض الملاحظات والنّتائج الّتي توصّلنا إليها من خلاله والّتي يمكن إجمالها في الآتي:

- بعد دراستنا للمعنى المعجمي لكلمة "السّخرية"، تبيّن أنّ جُلّها يصبّ في جانب التّحقير والتّذليل، بينما وجدنا المعنى الإصطلاحي موضوع إشكالية؛ فيه تضاربات في التّعريفات، بحيث يتمّ فيه خلط السّخرية بعناصر أخرى، كالفكاهة والضّحك والهجاء... لكنّنا توصّلنا، أخيراً، إلى أنّ السّخرية فنّ راق يقوم على انتقاد النّقائص والظّواهر السّلبية سواء في الفرد الواحد أو المجتمع ككلّ بُغية التّغيير نحو الأفضل.
- تتعدّد أسباب السّخرية ودوافعها، ومن غير الممكن الإحاطة بجميعها؛ فمنها النّفسيّة ومنها الإجتماعية وغيرها. وما تبيّن لنا، من خلال دراستنا، أنّ منبعها هو الألم الدّفين والمعاناة عند مختلف الشّعوب سواء العربيّة أو الأجنبيّة؛ فهي سلاح كثير من الأدباء في مقاومة الظّلم والجور. لذا، فهي تُعدّ مظهراً من مظاهر المقاومة الشّعبيّة والتّمرّد على الأوضاع المتردّية والظواهر السّلبية من خلال تصويرهم ضيق حالهم ومعاناة شعوبهم.
- إنّ أساليب السّخرية متعدّدة لا حصر لها؛ فهي تتولّد عن إبداعات الأديب وتفنّنه.

ويعتبر "حوحو" من الأدباء الّذين جنّدوا أقلامهم وفكرهم لخدمة هذا الوطن العزيز؛ فنجده قد أعلن حرباً ضدّ التخلّف والأمراض الإجتماعية المختلفة، بحيث جعل من السّخرية ميزة لأغلب أعماله الأدبيّة، حتّى ما تعلّق منها بالمواضيع الشّديدة الحساسيّة؛ فكانت له جرأة في خوض غمارها، كموضوع العلاقات العاطفية بين الشّباب. وقد وقف مدافعاً عن المرأة

العربية والجزائرية على وجه الخصوص؛ فبيّن مدى تخلّفها وعدم تمتّعها بأبسط حقوقها، ودعا إلى ضرورة انعتاقها من السّجن الّذي سجنها فيه المجتمع بعاداته وتقاليده البالية.

- استطاع أديبنا السّاخر من إدراك مواضع الدّاء في المجتمع وعمل جاهدا من أجل إصلاح ولو جزء قليل منها، بحيث سخر من الواقع السّياسي الّذي تسوده هيمنة المُستعمر الفرنسي في كلّ صغيرة وكبيرة، حتّى ما تعلّق بالعقيد الإسلامية والبرامج التّلفزيونية، بالإضافة إلى سخريته من ظروف المثقّف المتردّية وما يعانيه من فقر وتهميش.
- لقد رفض مختلف الآفات الإجتماعية الّتي تؤول بالمجتمع إلى الهاوية، منها الزّواج بالأجنبيات والنّفاق الدّيني الّذي جعل الدّين وسيلة استغلالية.
- إنّ انتماء "حوحو" لجمعية العلماء المسلمين المتميّزة بالإنضباط والصّرامة لم يمنعه من التفرّد في كتاباته المتميّزة بالسّخرية الّتي لا تخلو من فكاهة من خلال مقالاته الشيّقة في كتابه (مع حمار الحكيم) والّتي تُعدّ نقدًا لاذعاً رادعاً، ما ألّب عليه مجموعة من الأعداء والمعارضين ممّن أحسّوا أنّهم موضوع كتاباته أو مكمن الدّاء.
- تنوّعت أساليب "حوحو" السّاخرة، بحيث حرص على اصطياد المفارقات في قصصه القصيرة خاصّة في تصوير شخصيّات أبطالها، وذلك من خلال تقاطع بنية ضدّية بين المعنى الظاهر والمعنى الملتبس والّذي يؤدّي، حتما، إلى الضّحك مع رفع الوعي وإجلاء الغمام عن الأعين حيال الكثير من الحقائق.
- لكاتبنا براعة ودقّة في التّصوير، بحيث كثُر استعماله لأسلوب "الإيماء" ليقدّم لنا صورة حيّة عن جلّ شخصيّاته فتحسُّ وكأنّك تعيش معها.

- وما يمكننا قوله عن أدب "حوحو" هو أنّه بمثابة مرآة عاكسة للواقع الجزائري المرير، حمل في طيّاته معاناة الشّعب بأسلوب انتقادي ساخر لا يخلو من الفكاهة والطرافة.
- هذا ما توصّلنا إليه من نتائج بعد بحثنا في ثنايا أدب "حوحو" السّاخر، ولا يزال أدبه مجالا واسعاً للبحث، وما دراستنا سوى نقطة في بحر أدبه الّذي مازالت فيه كثير من القضايا الّتي لم ندرسها، ونأمل أن يتّجه زملاؤنا الطّلبة الكرام إلى الأدب الجزائري وخاصّة ما يصبّ منه في موضوع السّخرية عند "حوحو" وغيره.

رحم الله "حوحو" وتغمّده برحمته؛ فقد كان مثالاً للأديب الشّهم الغيور على شعبه ووطنه، دفع حياته ثمنًا من أجل رسالته الإصلاحيّة والأدبيّة النّبيلة.

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ

قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ

الملحق

ولد "أحمد رضا حوحو" سنة 1911م، بمنطقة الزّاب من الجنوب الجزائري؛ أي مدينة (سيدي عقبة بن نافع)، حيث عُرفت المنطقة بالرواج بحكم ضريح الصحابي المبارك بالمنطقة؛ إذ يزوره أفواج من الناس تبركا به، وكأنّ هذه الزيارات مثلت لهم بديلا عن الواقع الاستعماري المعيش[1]. بدأ تعليمه الابتدائي بهذه المنطقة ثم أكمل دراسته الإعدادية بـــ "سكيكدة" في اللغة الفرنسية لنيل شهادة الأهلية. أرغم وعائلته على مغادرة البلاد ليستقرّوا بالدّيار الحجازية سنة 1935م، إثر خلاف شبّ بين والده و"الباشا آغا". وواصل كاتبنا تعليمه حتّى تحصّل على شهادة التدريس ليعمل، بذلك، في سلك التعليم، ثمّ البريد والمواصلات. كتب بمجلة "الرابطة العربية" "لأمين سعيد" الصادرة بالسعودية والوطن العربي. وتنوعت مواضيع كتاباته بهذه المجلة، مثل مواجهة الاستعمار الفرنسي والممارسات الدينية الخاطئة[2]. زار بلدانا عديدة إثر رحلاته (مصر، وفرنسا، وروسيا)، وغيرها من بلدان العالم، جعلته يميّز بوضوح الواقع المزري بالجزائر الجريحة، وحال المرأة المهمشة في هذه البيئة المضطربة؛ فألف "غادة أم القرى" التي تحكي معاناة المرأة الحجازية وأهداها للمرأة الجزائرية انطلاقا من عامل مشترك بينهما، ألا وهو القهر والحرمان[3].

عاد إلى الجزائر سنة 1945؛ فتحمّل أعباء أسرته بعد وفاة والده. انضمّ إلى عدّة حركات إصلاحية، كحركة "ابن باديس" و"الشيخ البشير الإبراهيمي". وشارك بالكتابة في البصائر والشعلة، حيث استلهم مادّته الأساسية من هموم الشعب الجزائري في تشييد أعماله

(1) ينظر: الطيب ولد لعروسي: " أعلام من الأدب الجزائري الحديث"، دار الحكمة للنشر، الجزائر،ط.2،2012م، ص75.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص76، 77.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص78، 79.

الأدبية[1]؛ فكانت "غادة أم القرى" السالفة الذكر باكورة تأليفه في الديار الحجازية، والتي طُبعت بالجزائر سنة 1947، ثم جاء كتابه "مع حمار الحكيم" المطبوع سنة 1953 بقسنطينة. وتلت، ذلك، مجموعته القصصية "صاحبة الوحي وقصص أخرى" المطبوعة سنة 1954 بقسنطينة، لتأتي، بعد ذلك، مجموعته "نماذج بشرية" التي طُبعت بتونس سنة 1955، كحلقة في سلسلة (كتاب البعث) الشهرية، بإشراف الكاتب التونسي "أبو القاسم كرو"[2]. «كذلك أسهم رضا حوحو في الأدب المسرحي؛ فقدم إلى الإذاعة والمسرح العربي عدّة روايات فكاهية بالفصحى والعامية مقتبسة أو موضوعة، وجميعها كانت تقدم إلى الجمهور في أسلوب ساخر ونقد لاذع لأوضاعنا الاجتماعية والسياسية....» [3].

وقد تعدّدت أسماء مسرحياته التي يعلن عنها في الصحف والنشريات؛ «فكلّما هموا بتمثيل رواية أو مسرحية أعطوها عنوانا؛ فإذا أعيد تمثيلها سنة أخرى أعطوها عنوانا آخر لا يخرج عن مضمونها، مثل (سي زعرور) تارة و(النائب المحترم) تارة أخرى، يمثل: (البخيل) مرة و(سي شعبان) مرة أخرى، وهكذا: (المأمون) أو (ضيعة البرامكة) أو (ابن الرشيد)...» [4]؛ فيحسب النّاس النّص نصّان أو أكثر، وما هو إلا سرّ من أسرار المهنة يتقنه التجّار والفنانون، «وقاعدتهم في ذلك: أنّ لكلّ جديد لذّة وإن كان هذا الجديد لا يتعدّى الاسم والعنوان»[5]. وقد كان "حوحو" جديراً بلقب الفنّان المبدع، حيث قدّم لنا لوحات فنّية مفعمة بالحياة والحيوية تجعلك تندمج في عالمها وتتعايش مع أحداثها وشخصياتها.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص80، 81.
(2) ينظر: محمد الصالح رمضان، رضا حوحو شهيد الكلمة، ص23-25.
(3) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص92.
(4) المرجع السابق، ص26.
(5) ينظر: المرجع نفسه، ص26.

ولا يفوتنا ذكر مقالاته النقدية لشخصيات جزائرية تحت عنوان (الميزان)، والتي تمّ نشرها في الأعوام الأخيرة[1]. ومن بين الذين وزنهم "حوحو" في ميزانه، نذكر: "عبد الرحمن شيبان"، و"الشيخ النعيمي"، و"الشيخ الياجوري"؛ فأصدقاء "حوحو" الذين خضعوا لميزانه الدقيق لم يتجاوز عددهم ستة أو سبعة، حيث تلقّى أديبنا رسائل تشجيع وتأييد لعمله من قِبَلِ قرّائه[2]؛ إذ خضع "حوحو"، بدوره، للميزان بمداعبة من أحد أصدقائه، وهو "الحفناوي هالي" بأبيات جمعت فيها كل المتناقضات والمتضادات؛ فيبدؤها بقوله:

شَائق مائقٌ ضحُوكُ غضُوبٌ Š ‹ مُشرقٌ مُظلمٌ، عبوسٌ طروبُ

نابهٌ خاملٌ، عليمٌ جهـــــولُ Š ‹ عادلٌ جائرٌ، كسولٌ دَؤوبُ[3]

إلى أن يقول:

يَزِن النَاس هكذا (بصروف) Š ‹ كَصرُوف الزَمان، وهي خُطوبُ

أَنْ وَزن (الحكيم) ليس بمطبو Š ‹ عٍ كَوزن (الحمار)، وهو غريبُ

فَأعد يا (أخا الحمار) اعتبارا Š ‹ فلعلّ الميزان فيه ثقُـــــــــوبُ

وَزِن النَاس مِقْسطًا أو فسمّ Š ‹ الوَزنَ (كيلا) إذن وأنت أديبُ[4]

نلاحظ تفاعل الكتاب مع "حوحو" و أدبه؛ فقد أسر قلوب القرّاء والأدباء على حدّ سواء.

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص92.
(2) ينظر: محمد الصالح رمضان، رضا حوحو شهيد الكلمة، ص66، 67.
(3) المرجع نفسه، ص67.
(4) المرجع نفسه، ص67.

وقد ذاع صيت أديبنا في القصة القصيرة الّتي يُعتبر رائداً لها في الجزائر؛ فمنهم من اعترف له بريادته ومنهم من أنكر ذلك. لكن الأغلبية كانت مع الصّنف الأوّل، نذكر منهم الرّوائي والنّاقد السعودي "أحمد أبو الدهمان" الّذي أُعجب بأعماله وأشاد بريادته في هذا الفنّ[1]. وبعيدا عن أعمال "رضا حوحو" الأدبية والصحفية، نجده فنّاناً مرهف الحسّ، يعشق المُوسيقى ويُجيد العزف على كثير من آلاتها، ويحضر حفلاتها[2]، بل كان ينشّط حفلاتٍ فنّية رفقة فرقة (المزهر القسنطيني) التي كان مديراً لها، حيث كان يؤلّف مسرحيات سواء بالفصحى أو الدّارجة ليرافقها بأغاني شعبيّة تناسب أدوارها[3].

أفل نجم أديبنا المناضل مساء يوم 29 مارس 1956م بقسنطينة، إثر انفجار مُروّع استهدف مقرّ البوليس في (رحبة الصّوف) قلب المدينة النّابض، وهو لا يزال في ريعان شبابه، حيث خطف العدوّ منّا خطفاً هذه الطّاقة الإبداعيّة المُفعمة بالحيويّة[4]؛ فلو لم يغادرنا هذا الأديب المتألّق الطّموح، لكان له مشاريع كُبرى في شتّى ميادين الأدب، تُثري، بذلك، رصيد الأدب الجزائري الّذي هو في أمسّ الحاجة إليها.

(1) ينظر: الطيب ولد لعروسي، أعلام من الأدب الجزائري، ص85.
(2)ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص90
(3) ينظر: الصالح رمضان، أحمد رضا حوحو شهيد الكلمة، ص18.
(4) ينظر: المرجع نفسه، ص19.

فهرس
المصادر والمراجع

أ. المصادر:

1. الإبراهيمي محمد البشير: «عيون البصائر»، ج3، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1997م.
2. أبو ليوس لوكيوس: «الحمار الذهبي؛ أول رواية في تاريخ الإنسانية»، ترجمة: أبو العيد دودو، الدار العربية للعلوم، ط.1، 2001، الجزائر، ط.2، 2004، الجزائر، ط.3، 2004 ، بيروت.
3. الجاحظ: « البخلاء »، مراجعة و شرح: كرم البستاني، ط.1، دار صادر، بيروت، 1383 هـ - 1963 م / 1419 هـ - 1998 م.
4. الحكيم توفيق: «حمار الحكيم»، دار مصر للطباعة و التوزيع و النشر، سعيد جودة السحار وشركاه، د. ط، 1983.
5. حوحو أحمد رضا: « صاحبة الوعي و قصص أخرى »، تقديم أحمد منور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، د.ت.
6. حوحو أحمد رضا: « مع حمار الحكيم »، الأعمال الكاملة – 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.
7. حوحو أحمد رضا: « نماذج بشرية »، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، د.ط، 2013 م.
8. حوحو أحمد رضا: « نماذج بشرية »، تقديم: السعيد بوطاجين، كتاب الدوحة، د. ط، 2014 م.

ب. المراجع:

9. أبو العيد دودو: « صور سلوكية»، ج1، شركة دار الأمة للترجمة و الطباعة و النشر و التوزيع، د.ط، الجزائر، 1993م.
10. أبو عيسى فتحي محمد عوض: « الفكاهة في الأدب العربي »، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د.ط، 1969م.
11. أبو القاسم سعد الله: «دراسات في الأدب الجزائري الحديث»، دار الرائد للكتاب، ط.6، 2007.
12. أدونيس: «مقدمة للشعر العربي»، دار العودة بيروت، ط. 3، 1979/01/01م.
13. برحسون هنري: «الضحك»، ترجمة: علي مقلد، د.ط، د.ت.

14. بن سمينة محمد: «النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها، بدايتها، مراحلها»، مطبعة الكاهنة، الجزائر، د.ط، 1993م.

15. بن قينة عمر: «في الأدب الجزائري الحديث تاريخا... وأنواعا... وأعلاما»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط ، 1999م.

16. بن مالك سيدي محمد: «السرد والمصطلح؛ عشر قراءات في المصطلح السردي و ترجمته»، دار ميم للنشر، الجزائر، ط.1، 2015 م.

17. بوحجام محمد ناصر: «السخرية في الأدب الجزائري الحديث 1925 – 1962 م»، ط.1، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1425 هـ / 2004 م.

18. بيدبا الفيلسوف الهندي: «كليلة ودمنة»، ترجمة: عبد الله بن المقفع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.3، 1425 هـ - 2004 م.

19. توفيق نجيب: «الفكاهة و الظرفاء أيام زمان»، المكتبة الأزهرية للتراث، ط.1، 1418 هـ - 1998م.

20. جبر جميل، «نوادر الجاحظ بقلم الجاحظ»، سلسلة عالم الفكاهة، دار الحضارة، الجزائر، د.ط، د.ت.

21. حفني عبد الحليم: « أسلوب السخرية في القرآن الكريم »، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1978م.

22. خرفي صالح: «صفحات من الجزائر»، نقلا عن عامر مخلوف: «مظاهر التجديد في القصة القصيرة في الجزائر»، دار الآمل للطباعة و النشر، تيزي وزو (الجزائر)، ط.2، د. ت.

23. خليفة علي محمد السيد: «الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمداني؛ دراسة تحليلية»، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، ط. 1، 2010م.

24. درويش كامل، طانيوس منعم الخوري: «النصوص الأدبية وفقا للمنهاج الرسمي الجديد»، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، د.ط، د.ت.

25. الركيبي عبد الله: «تطور النثر الجزائري الحديث 1830 – 1974 »، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، الأعمال الكاملة، د.ط، د.ت.

26. الركيبي عبد الله: «القصة القصيرة»، دار الأدب، د.ط، 1890م.

27. رمضان محمد الصالح: الموسوعة التاريخية للشباب شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو 1911 – 1956»، إشراف حسين بروبة، مديرية التاريخية و إحياء التراث، الجزائر، د.ط، د.ت.

28. الزبيري العربي: «المثقفون الجزائريون والثورة»، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، د.ط، نوفمبر 1986م.

29. السائحي محمد الأخضر: "ألوان بلا تلوين"، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د. ط، 1976م.

30. شاكر عبد الحميد: «الفكاهة و الضحك؛ رؤية جديدة»، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 2003م.

31. شرف عبد العزيز: «الأدب الفاكهي»، إشراف: محمود علي مكي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط.1، 1992م.

32. شلبي عبد العاطي: «فن النشر الحديث؛ تحليل مقالات وقصص قصيرة»، ج2، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، 2009م.

33. ضيف شوقي: «الفكاهة في مصر»، نقلاً عن: أبو عيسى فتحي محمد عوض: «الفكاهة في الأدب العربي»، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د.ط، 1969م.

34. عبد الحليم محمد حسين: «السخرية في أدب الجاحظ»، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع والإعلان، ط.1، 1397هـ – 1988م.

35. عبد الرحمن عبد الحميد علي: «الأدب العربي في العصر الإسلامي و الأموي»، دار الكتب، د. ط، د. ت.

36. فاعور ياسين أحمد: «السخرية في أدب إميل حبيبي»، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة، تونس، د. ط، فيفري 1993م.

37. فرج نبيل راغب: «الأدب الساخر؛ الأعمال الخاصة»، مهرجان القراءة للجميع، د. ط، 2000.

38. قزيحة رياض: «الفكاهة في الأدب الأندلسي»، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت، ط.1، 1418 هـ - 1998 م.

39. كحوال محفوظ: «أروع قصائد أحمد مطر»، سلسلة الشعر العربي المعاصر أكثر من 230 قصيدة، مكتبة نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت.

40. الكردي محمد علي: «الفكاهة في الأدب الفرنسي عبر العصور»، سلسلة الأعمال الخاصة، مهرجان القراءة للجميع، د.ط، 2002م.

41. مرتاض محمد: «النقد الأدبي في المغرب العربي بين القديم والحديث»، دار هومة للطباعة و النشر، د. ط، د. ت.

42. مفقودة صالح: «أبحاث في الرواية العربية - 1»، منشورات أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضرة بسكرة، د. ط، د.ت،.

43. النجار محمد رجب: «جحا العربي»، إشراف: أحمد منشاري العدواني، سلسلة عالم المعرفة، د. ط، يناير 1978م.

44. نعمان محمد أمين طه: «السخرية في الأدب العربي»، دار التوضيفية، ط.1، 1398 هـ - 1987م.

45. الهوال حامد عيدة: «السخرية في ادب المازني»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1982م.

46. ولد لعروسي الطيب: «أعلام من الأدب الجزائري الحديث»، دار الحكمة للنشر، الجزائر،ط.2012،2م.

ج. المعاجم:

47. ابن منظور: «لسان العرب»، م4، مادة: آبر – عير، تحقيق: أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 2003 م – 1424 هـ.

48. البستاني: بطرس، محيط المحيط: «قاموس عصري مطول للغة العربية»، م4، 1234 – 1300 هـ، 1819 – 1883 م، اعتنى و أضاف زياداته: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2009م.

49. بن حماد الجوهري إسماعيل: «تاج اللغة العربية و صحاح العربية»، ج2، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط.1، القاهرة 1376 هـ - 1956 م، ط.2، بيروت 1399 هـ - 1979م.

د. الدواوين:

50. االبرقوقي عبد الرحمن: «شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري»، دار الأندلس للطباعة و النشر، ط.3، بيروت، 1983م.

هـ. الرسائل الجامعية:

51. أمقران حكيم: «البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، طاهر وطار أنموذجا»، (ماجستير)، جامعة ملود معمري تيزي وزو، 1998 / 1999م.
52. جهاد عبد القادر قويدر: «شعر الفكاهة في العصر العباسي: دراسة نقدية تحليلية»، قسم اللغة العربية و آدابها، (ماجستير)، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة البعث، 2008 – 2009م.
53. خليل الضمور نزار عبد الله: «السخرية و الفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع هجري»، قسم اللغة العربية و آدابها، (دكتوراه)، جامعة مؤتة، 2005م.
54. صالح محمد سليمان: «الطرفة في الأدب الفلسطيني»، (ماجستير)، الجامعة الإسلامية، عزة، 2003 – 2004م.
55. طبشي إيمان: «النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين»، (ماجستير)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010 – 2011م.
56. طهاري نجية: «بناء الشخصية في مسرح رضا حوحو»، قسم اللغة العربية و آدابها، (ماجستير)، 2011 – 2014م.
57. العبادي خير الدين بن قاسم: «السخرية في شعر بشار بن سرد»، (ماجستير)، جامعة الموصل، 2005 م – 1426 هـ.
58. مشتوب سامية: «السخرية و تجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة»، (ماجستير)، 2011.

و. المجلات:

59. جوادي هنية: «التعدد اللغوي في رواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف للأعرج الواسيني»، مجلة المخبر: أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 5، مارس 2009.
60. خان محمد: « الأدب الإصلاحي في الجزائر، دراسة تجريبية لأدب حوحو»، ج2، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 2، جوان 2002م.

61. شمسي واقف زادة: « الأدب الساخر، أنواعه و تطوره مدى العصور الماضية»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، سنة 3، العدد 12.

62. عويزات انتصار حسين: «فن السخرية عند جرير»، مركز دراسات الكوفة، العدد 15، 2009.

63. الكاوري صادق إبراهيم: «السخرية في الشعر العربي الحديث و المعاصر»، مجلة المعرفة، العدد 511، نيسان 2006.

ز. المقالات:

64. أبو القاسم رادفر: «السخرية لفتها أشكالها و دوافعها»، جامعة أزاد العالمية، جيرفت، السبت 29 كانون الثاني، يناير 2015.

65. أنور حميد و فشوان علي: «فن السخرية في شعر جرير»، كلية المعلمين بمحافظة حدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2016/02/29م.

66. عبد الرحمن حنان: «القصة الإصلاحية النشأة و التطور»، منتدى المقالات الأدبية والمكتبة الأدبية المتكاملة، 26 نوفمبر 2001م.

ج. المواقع الإلكترونية:

67. **ترجمة معنى** كلمة **إيماء ص1- www.almaany.com/ar/dict/ar-ar**

68. شعرية الرواية التسجيلية العربية، تحليل رواية ما يحدث في مصر الأن، موقع بين: www.bettna.com/artuculs/rt/f331.html

69. الفريحات عادل: الأدب الساخر والضاحك، أفاق المعرفة، http://Archive.beta.Sakkrit.com

70. **هل تراجع الأدب الساخر؟ www.annasr online.com**

71. **www.sawt-alahrar.net/ara/archive-pdf-2015**

الفهرس

الفهرس

تشكرات.....

إهداء(1).....

إهداء(2).....

المقدمة العامة.....أ.ب.ج

الفصل التمهيدي:.....02

1. السخرية لغة و اصطلاحا:

2. أسباب السخرية ودوافعها

3.أساليب السخرية وصورها

الفصل الأول: السخرية في الأدب.....25

1. السخرية في الأدب الأوروبي.....25.

2. السخرية في الأدب العربي.....31

3. السخرية في الأدب الجزائري.....46

الفصل الثاني: السّخرية في بعض أعمال "حوحو" السّاخرة.....59

1. أحمد رضا حوحو أديباً.....59
2. دراسة فنية لقصة " الشيخ رزق".....65

أولا: ملخّص القصّة

ثانيا: الشخصيات

ثالثا: اللّغة

رابعا: البيئة الزمكانية

خامسا: أساليب السّخرية

3. دراسة فنّية لمقال "الزّواج".....75

أولا: الملخص

ثانيا: الشّخصيات

ثالثا: اللّغة

رابعا: أساليب السّخرية

الخاتمة.....85

قائمة الصادر و المراجع.....92

الملحق.....97

الفهرس.....103